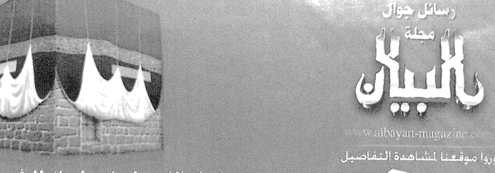


. القمة تكفي لأكثر من واحد . إلى قاصدي مكة هل يُذهب الشوق المشقة؟ . إسلامية لا إسلاموية!
مجلة إسلامية شهرية جامعة
البيان
AL BAYAN
السنة الثالثة والعشرون . العدد ٢٥٥ . ذو القعدة ١٤٢٩ هـ . نوفمبر ٢٠٠٨ م
مع العدد ملحق هدية
المشروع الإيراني.. وصرخة القرضاوي
فقه الخلاف
د. محمد العصيمي:
النظام الليبرالي يقود إلى مجزرة اقتصادية عالمية



" لبيك اللهم لبيك .. لبيك لا شريك لك لبيك " ..

(وأذن في الناس بالحج)

(رسائل منتقاة عن الحج وشعائره ومناسكه ومعانيه)



عيد المسلمين



نافذة يطل منها المشتركون صباح كل جمعة على مسألة فقهية ، أو توعوية لأحكام يوم الجمعة وادابه وشعائره .

بُشرى الأسبوع

نافذة يطل منها المشتركون على أبرز بشرى تصلنا في أسبوع من الأسابيع مما يمس أمر المسلمين وواقع مجتمعاتهم ، ووقتها عشاء الخميس ، ونسأل الله أن يملأ حياتنا ببشائر النصر والتمكين .

المسلمون والعالم



نافذة يطل منها المشتركون على أبرز أحداث العالم الإسلامي في مشارق الأرض ومغاربها ، وهو من أبرز أهداف مجلتكم ، حيث تجدون من خلالها تحليلاً واضحاً وعبرة مستخلصة من حدث معين من المجلة أو التقرير الاستراتيجي أو إصدارات المجلة .

فبهداهم اقتده



نافذة يطل منها المشتركون على أقوال سلفنا الصالح ، انتماء منا لجيلنا الماضي المجيد ، الذي أخرج أقوالاً نابعة عن علم أصيل وقر في القلب ، وإخلاصٍ لله . ننتقي لكم مقولات مأثورة ومؤثرة ومثرية ، تعالج مظاهر ضعف في عباداتنا وسلوكنا .

نوافذ جديدة



أعزاءنا المشتركين ، تطلون معنا من نافذتين جديدتين بعنوان (إطلالة على كتاب) نعرف فيها بأبرز الكتب وأهمها ، ونلقي نظرة تعريفية مجملة ، ونافذة (لطائف ثقافية) تستمتعون من شرفتها بأجمل الفوائد الثقافية المتنوعة من الحياة حولنا .

للاشتراك

أرسل رسالة
فارغة للرقم

88004

قيمة الاشتراك

١٢ ريالاً شهرياً

اقتطفنا :

اقتطفنا :

عيد الأسبوع) :

يوم الجمعة يتجلى الله عز وجل فيه لأوليائه المؤمنين في الجنة ، بحسب زيارتهم له ، فيكون أقربهم منه أقربهم من الإمام ، وأسبقهم إلى الزيادة أسبقهم إلى الجمعة .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه في قوله عز وجل : (ولدينا مزيد) قال : يتجلى لهم في كل جمعة . ذكره ابن كثير عند تفسير الآية المذكورة .

(فبهداهم اقتده):

قال شيخ الإسلام رحمه الله : (العارف لا يرى له على أحد حقا، ولا يشهد على غيره فضلا ، ولذلك لا يعاتب ولا يطالب ولا يضارب) .

(تعليق) :

وهذه صورة مهمة يحتاج الدعاة أن يقفوا عندها ليعرفوا خبايا نفوسهم،ويراجعوا إخلاصهم، واحتسابهم الأجر عند رب العالمين .

الأجر عند رب العالمين .

(بشرى الأسبوع) :

قدم رئيس تحرير صحيفة (يوستن يولاند) الدنمركية استقالة مفاجئة بعد (١٧) سبعة عشر عاماً من المنصب . واستغرب غالبية العاملين في الصحيفة هذا القرار . ولم يصدقوا الأسباب الشخصية التي ذكرت لهم . وأعربوا عن اعتقادهم أن الرسوم المسيئة هي السبب الرئيسي لاستقالته .



اكفلني..

www.alzaad.com



بـ 1000 ريال

تساهم بكفالة مشاريع الزاد الخيري

لمدة عام كامل وهي موزعة كالتالي :

المشروع	المبلغ	عدد المستفيدين
كفالة الأيتام	١٥٠ ريال	٨٠ يتيم
كفالة الأسر والأرامل	٢٥٠ ريال	٤١٥ اسرة وأرملة
تفطير الصائمين	٥٠ ريال	الصائمون
تسديد الأجورات	٢٠٠ ريال	٢٢٠ أسرة فقيرة
إعفاف الشباب	١٠٠ ريال	٤٠ شاباً فقيراً
صيانة منازل الفقراء	١٠٠ ريال	١٢٠ منزلاً
علاج الفقراء	٥٠ ريال	تأمين أجهزة للمرضى
الإرشاد والإصلاح الأسري	٥٠ ريال	٣٤٥ أسرة
تدريب و تطوير الأسر المحتاجة	٥٠ ريال	٣٤٥ أسرة

للمساهمة مصرف الراجحي حساب/ 212608010000739

حساباتنا لدى مصرف الراجحي

الزكاة	٢١٢٦٠٨٠١٠٠٠٠٥٢٢	صدقة جارية	٢١٢٦٠٨٠١٠٠٠٠٥٧٢
الصدقة	٢١٢٦٠٨٠١٠٠٠٠٥٢١	كفارة يمين	٢١٢٦٠٨٠١٠٠٠٠٧١٣
برنامج اكفلني	٢١٢٦٠٨٠١٠٠٠٠٧٣٩	كفارة صيام	٢١٢٦٠٨٠١٠٠٠٠٧٢١
كفالة يتيم	٢١٢٦٠٨٠١٠٠٠٠٥٤٩	وقف المعلمة	٢١٢٦٠٨٠١٠٢٢٢٢٣٦

للتواصل

55 3841111

6 3841111

الادارة النسائية 6 3846111

بريدة - طريق الملك سعود

ص.ب/ ١٠٤٣٣ الرمز البريدي ١٤٣٣













للمراسلات والإعلانات:

الدول العربية:

□ **السعودية:**

ص. ب ٢٦٩٧٠ الرياض: ١١٤٩٦.

هاتف الاشتراكات مباشر: ٢٢٥١٩٦٧

هاتف: ٤٥٤٦٨٦٨ ـ فاكس: ٤٥٣٢١٢١

للمراسلات عبر البريد الإلكتروني:

التحرير:
editors@albayan.co.uk

الاشتراكات:
sub@albayan-magazine.com

التسويق:
sales@albayan-magazine.com

عنوان المجلة على الشبكة العالمية: www.albayan-magazine.com

الموزعون:

■ **الأردن:** الشركة الأردنية للتوزيع، عمان ص. ب ٣٧٥ هاتف: ٥٣٥٨٨٥٥، فاكس: ٥٣٣٧٧٣٣.

■ **الإمارات العربية المتحدة:** شركة الإمارات للطباعة والنشر، دبي ص. ب ٦٠٤٩٩ هاتف: ٣٩١٦٥٠١، فاكس ٢٦٦٦١٢٦.

■ **سلطنة عُمان:** مؤسسة العطاء للتوزيع، ص.ب ٤٧٣ ـ العذيبة ١٣٠ ـ هاتف: ٢٤٤٩١٣٩٩ ـ فاكس: ٢٤٤٩٣٢٠٠.

■ **البحرين:** مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ـ المنامة: ص.ب ٢٢٤ هاتف ٥٣٤٥٥٩ ـ ٥٣٤٥٦١، فاكس ٥٣١٢٨١.

■ **السعودية:** الشركة الوطنية للتوزيع: هاتف: ٤٨٧١٤١٤ ـ فاكس: ٤٨٧١٤٦٠.

■ **السودان:** الخرطوم، مكتب المجلة ٨٣٢١٢١٨٣.

قطر: دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع، الدوحة هاتف: ٤٥٥٧٨١٠

■ ~ ٤٥٥٧٨١١ - ٤٥٥٧٨١٢ - فاكس: ٤٥٥٧٨١٩.

الكويت: شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع: ص. ب: ٢٩١٢٦ ـ الكويت

■ الرمز البريدي ١٣١٥٠ ـ هاتف: ٢٤٠٥٣٢١ ـ ٢٤١٧٨١٠ ـ فاكس: ٢٤٧٨٠٩.

المغرب: سوشبرس للتوزيع، الدار البيضاء، ش جمال بن أحمد ص. ب

■ ١٣٦٨٢ ـ هاتف: ٤٠٠٢٢٣ ـ فاكس: ٢٤٦٢٤٩.

اليمن: دار القدس للنشر والتوزيع، صنعاء: ص. ب ١١٧٧٦ الطريق الدائري

■ الغربي أمام الجامعة القديمة، هاتف: ٢٠٦٤٦٧ ـ فاكس: ٤٠٥١٣٥

■ طبعت بمطابع الأهرام التجارية – ٦ أكتوبر

الحسابات:

■ **السعودية:** شركة الراجحي المصرفية للاستثمار فرع الربوة ـ شارع الأربعين ـ حساب مجلة البيان رقم ٧/٢١٠٠

ـ مصرف فيصل الإسلامي ـ حساب رقم: ٠٠٢ ـ ٤٥١٤ ـ ٤٢ ـ ١٠٩

ـ الشركة الإسلامية للاستثمار الخليجي ـ حساب رقم ٦٣٤٩٢٤

■ **الإمارات:** بنك دبي الإسلامي ـ (فرع دبي) رقم الحساب ٥٥٤٦٥٢٤

■ **قطر:** بنك قطر الدولي الإسلامي رقم: ١١١١٠٠٥٤٢٣٠٠١

الغرب بين التعالي والتداعي

ما زال الخطاب الغربي منذ ما يسمونه بـ (عصر النور) يروِّج دعاوى الحرية والمساواة وحقوق الإنسان، إلا أن الغربيين كانوا هم المغتصبين لتلك الحقوق في حملاتهم الاستعمارية على كثير من بلداننا الإسلامية، وهذا الرأي لم يقل به عالم أو مفكر أو داعية مسلم فحسب، إنما أوردته أيضاً باحثة فرنسية هي: (صوفي بسيس) في كتابها المثير (الغرب والآخر: تاريخ سيطرة)، حيث أكدت أنه لا يمكن فصل الهوية الغربية عن ثقافة الاستعلاء، وهذا ما علَّلت به استخفاف قومها بالاعتذار عن مآسيهم وجرائمهم الاستعمارية السابقة التي ما زلنا نعاني سلبياتها حتى الآن في فلسطين والعراق وأفغانستان وغيرها.

العزاء أن التدهور وسقوط الأمة المستبدة سُنَّة قائمة لكل الظالمين والمستكبرين، وهذا ما فطن له عقلاء القوم وحذَّروا منه أقوامهم في دراسات وكتب شهيرة، منها: (تدهور الغرب) لـ (شبنجلر) الألماني، و (نهاية الغرب) لـ (هايسبورج) الفرنسي، و (موت الغرب) لـ (باتريك بوكانين) الأمريكي. وها هو الغرب الآن يعيش مأساة الانهيار الاقتصادي الأمريكي الحالي؛ حيث عملوا لإنقاذه بخطة بـ (٧٠٠ بليون) دولار التي رُفضت ثم قُبلت بعد تعديلها بعد ارتفاع معدلات البطالة وهبوط أسعار العقارات وتزايد حالات الرهن وتدهور الأسهم عندهم ومن ارتبط بهم، وهو ما جعل حلفاءهم يعملون جاهدين للتخلُّص من هذا الاقتصاد المريض، ونادى علماء الاقتصاد ومفكروه بأهمية الحذر من هذا الواقع الكئيب الأكثر حدة منذ الكساد العظيم في ثلاثينيات القرن الميلادي المنصرم، وهو ما أكد أن الحضارة الغربية وفلسفتها المادية لم تعد أنموذجاً لبناء المستقبل بعد أن أفسدت الإنسان والبيئة والاقتصاد وتسبَّبت مصانعها في انتشار كثير من الأمراض التي لم توجد من قبل.

إنَّ تزلزل الرأسمالية الليبرالية يضع مسؤولية كبرى على علماء الاقتصاد الإسلامي في عرضه وتفعيل طروحاته؛ لعلاج أزمات الواقع المُعاش بعد اهتزاز الرأسمالية الوحشية، ولله الأمر من قبلُ ومن بعدُ.

سعر العدد:

السعودية ١٠ ريالات	قطر ١٠ ريالات	الأردن ٧٥ قرشاً
الكويت ٨٠٠ فلس	اليمن ١٥٠ ريالاً	الإمارات العربية ١٠ دراهم
مصر ٥ جنيهات	السودان ٢٠٠ دينار	البحرين دينار واحد
المغرب ١٢ درهماً	سلطنة عُمان ٨٠٠ بيزة	فلسطين نصف دولار أمريكي

أوروبا وأمريكا ٢,٧٥ يورو أو ما يعادلها

الاشتراكات:

السعودية ودول الخليج	١٢٠ ريال سعودي
بريطانيا وإيرلندا	٤٧ يورو
أوروبا	٥٥ يورو
البلاد العربية وإفريقيا	٤٥ يورو
أمريكا وبقية دول العالم	٥٥ يورو
المؤسسات الرسمية	٦٠ يورو

المشروع الإيراني.. وصرخة القرضاوي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين؛ أما بعد:

فإن اتفاق كلمة المسلمين ووحدة صفهم وعدم تفرقهم في أصول الدين؛ من المقاصد العظيمة التي حرصت الشريعة على إيجادها وتأكيدها؛ لذا كان العمل على تحقيق ذلك في أرض الواقع من المهام الجليلة التي يعمل لها المحبون لنصرة هذا الدين، ولظهوره على الدين كله. لكن مع نُبْل هذا المقصد فقد سلك بعض الناس لتحقيقه طريقاً لا يوصل إلى المراد، وهو الاستجابة لمحاولة التوفيق بين الحق والباطل وغض الطرف عن المخالفات العقدية؛ بزعم التقريب بين المختلفين، ومن هذا المنطلق كانت دعوى التقريب بين أهل السنة والشيعة وتوحيد صفهما، ومع كل محاولة من هذه المحاولات المتعددة يتبين خطأ هذا الطريق وعدم جدواه، وأن دعوى التقريب من جانب الشيعة لم تزد في حقيقتها عن كونها غطاء وستاراً لنشر مذهبهم بين أهل السنة؛ مستغلين في ذلك حسن نية أهل السنة وحرصهم على جمع الكلمة، وكان الذي ينبغي فعله في ذلك هو كشف زيف العقائد الشيعية وبطلانها وإقامة الحجة عليهم مع دعوتهم إلى اتِّباع السنة النبوية الصحيحة، وذلك كما فعل الشيخ موسى بن جار الله التركستاني، وهذا الأسلوب بلا شك لو بُذل فيه الجهد لكان أنفع وأجدى من محاولات تقريب - لو نجحت - لم تثمر إلا عن خلط الحق بالباطل، والمساواة بينهما، أو الإعراض والتغاضي ولزوم الصمت حيال ما يناقض شريعة الله تعالى، وفي هذا جناية على الحق بتضييعه، وجناية على أهل السنة بتيسير سبل اختراق صفوفهم.

التمدد الشيعي ودعوى التقريب:

الدعوة إلى التقريب ينبغي أن تكون قائمة على أسس من شأنها أن تؤدي إلى تحقيق الهدف المنشود، وهو اتِّباع كتاب الله وتعظيمه، وتوقير السنة والعمل بها، والتمسك بهدي القرون المفضَّلة. وفي غياب مثل هذه الأسس

الصحيحة تصبح دعوى التقريب بيئة خصبة للتمدد الشيعي في المجتمع السني، بل وصل الأمر ببعض أهل السنة أن بالغ في قبول هذه الدعوى والترويج لها بين أهل السنة، حتى إنه ليصف من يقبل هذا النوع من التقريب بأنه تيار الاعتدال، ويسمي من يكون مستبصراً بالوضع الحقيقي مدركاً لموقف الشيعة من أهل السنة - على مدار التاريخ القديم والحديث - بالتيار المتشدد أو تيار الغلو.

لقد بدأت مسيرة التقريب بين السنة والشيعة في العصر الحديث منذ عدة عقود من الزمان، ولم تسفر عن شيء سوى الغزو الشيعي لبلاد السنة ونشر الرفض فيها، لذلك فإن كل من سلك طريق التقريب مع الشيعة يتبين له بعد مشواره الطويل أن لا فائدة متحققة من وراء ذلك، ومن ثم يعلن تراجعه عما أقدم عليه، وقد مرت دعاوى التقريب بعدة تجارب، من أبرزها: تجربة العلَّامة محمد رشيد رضا حيث سعى في ميدان التقريب أكثر من ثلث قرن كما يقول، ثم سجل خلاصة تجربته قائلاً: «وقد ظهر لي باختباري الطويل وبما اطَّلعت عليه من اختبار العقلاء وأهل الرأي أن أكثر علماء الشيعة يأبون هذا الاتفاق أشد الإباء؛ إذ يعتقدون أنه ينافي منافعهم الشخصية من مال وجاه»[1].

ومن التجارب أيضاً تجربة د. مصطفى السباعي الذي التقى بعض مراجع الشيعة وزار وجوههم من سياسيين وتجار وأدباء، ثم يذكر أن غاية ما قدَّم شيوخ الشيعة تجاه فكرة التقارب هي جملة من المجاملة في الندوات والمجالس مع استمرار كثير منهم في سبِّ الصحابة وإساءة الظن بهم واعتقاد كل ما يُروَى في كتب أسلافهم من الروايات والأخبار، ويذكر أنهم وهم ينادون بالتقريب لا يوجد لروح التقريب أثر لدى علماء الشيعة في العراق وإيران؛ فلا يزال القوم مصرِّين على ما في كتبهم من ذلك الطعن الجارح والتصوير المكذوب لما كان بين الصحابة من خلاف، وكأن المقصود من دعوة التقريب هو تقريب أهل السنة إلى مذهب الشيعة»[2]. وهكذا تجربة الشيخ عبد اللطيف بن محمد السبكي والشيخ محمد عرفة والشيخ طه الساكت وغيرهم مع دار التقريب بين المذاهب الإسلامية. لقد أدرك الجميع أن الهدف المنشود من التقريب ما هو إلا وَهْم من الأوهام وخيال من الخيالات؛ إذ الخلاف في الأصول وليس في الفروع، ولن يحدث تقريب حقيقي في هذه الحالة إلا بتخلِّي أحد الطرفين عن بعض أصول مذهبه، وهنا يكمن أصل المشكلة.

صرخة القرضاوي:

أطلق فضيلة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي - جزاه الله خيراً - تحذيراً شديد اللهجة من خطورة المشروع الشيعي في المنطقة، وجهر بالتحذير من التمدد الشيعي في المجتمع السني وما يترتب على ذلك من خطورة على الدين والأمة، وقد لقي تحذير الشيخ ترحيباً من المخلصين الفاقهين الحريصين على المصلحة الشرعية، ولكن هذا التحذير لم يَرُقْ لمراجع الشيعة ووسائل إعلامهم فشنّوا عليه حملة متشنجة كشفت كثيراً من مخازيهم، ومع الأسف الشديد أن هذا التحذير لم يرق أيضاً لبعض الناس من أهل السنة، حيث دعوا - كالمعتاد - إلى تنحية الخلافات بين السنة والشيعة، والتوحد أمام الهجمة الصهيونية والأمريكية (وهو ما لم يسبق حدوثه). لقد أظهر هذا الموقف مدى التغلغل الشيعي داخل أدمغة بعض النخب المحسوبة على الاتجاه السني؛ فقد عارض موقفَ الشيخ من عارضه ممن كان يُظَنُّ به متابعته له، كما صمت عن نصرته من صمت، حيث لا يصلح الصمت في مكان ينبغي فيه الجهر.

إن هذا الموقف الشجاع من الدكتور يوسف لم يأت من فراغ ولم يكن ناتجاً عن تسرُّع أو جهل بحقيقة الشيعة، بل كان على علم ومعرفة بالمشروع الإيراني الطائفي، وجاء بعد معاناة طويلة، فعندما عاتبه بعض أصحابه على هذا الجهر وطالبه بالحديث غير المعلن مع علماء الشيعة قال الشيخ: «هذا قد تم يا دكتور خلال أكثر من عشر سنوات ثم في مؤتمرات التقريب ومن خلال زيارتي لإيران سنة ١٩٨٨م بيني وبين علماء طهران وقم ومشهد وأصفهان، وتم فيما كتبته من بحوث ورسائل آخرها رسالة مبادئ

---

(١) مجلة المنار (٣١/٢٩٠)، نقلاً عن مسالة التقريب بين أهل السنة والشيعة (٢/١٩٤).

(٢) السنة ومكانتها في التشريع (ص ٩-١٠)، نقلاً عن مسالة التقريب (٢/١٩٧).

الحوار والتقريب بين المذاهب الإسـلامية، ولكني وجدت أن المخطط مسـتمر، وأن القوم مصمِّمون على بلوغ غاية رسـموا لها الخطط ورصـدوا لها الأمـوال وأعدوا لها الرجال وأنشـؤوا لها المؤسسات، ولهذا كان لا بد أن أدقَّ ناقوس الخطر؛ وأجراسُ الخطر يا دكتور لا تؤدي مهمتها ما لم تكن عالية الصوت توقظ النائم وتنبه الغافل وتُسمِع القريب والبعيد». ثم قال بكل وضوح: «الخطر في نشـر التشـيع أن وراءه دولة لها أهدافها الاسـتراتيجية وهي تسعى إلى توظيف الدين والمذهب لتحقيق أهداف التوسع ومد مناطق النفوذ حتى تصبح الأقليات التي تأسست عبر السـنين أذرعاً وقواعد إيرانية فاعلة لتوتير العلاقات بين العرب وإيران وصالحة لخدمة استراتيجية التوسع القومي لإيران».

الاختراق الشيعي:

تمكَّن الشيعة من اختراق مجتمعات أهل السنة؛ سواء كان ذلك عن طريق بعض مغفلي أهل السنة، أو عن طريق العصرانيـين والعَلْمانيين وكل مناوئ لأهل السـنة، حتى ظهرت في بلاد أهل السـنة المقولات الرافضية وانتشرت في وسـائل الإعلام المتعددة. وفي ظـل ضعف كثير من أنظمة الحكم في بلاد أهل السنة تمكَّن الشيعة من تحقيق مكاسـب على الأرض وصار لهم وجود محسوس في بلاد لم يكـن لهم فيها موطئ قدم، لكن ينبغي أن يُعلَم أن كثرة الحديث من بعض رموز أهل السنة عن ضرورة الجمع بين أهل السنة والشيعة، وتهوين مسائل الخلاف معهم وعدّها مـن قبيل الاختلاف في الفرعيات أو المسـائل التاريخية التي لم يعد لها وجود في العصر الحاضر، والتقُّص ممن يحذر من ضلال القوم، بل وعدّه ممن تصب جهودهم في صالح أعداء الأمة؛ كل ذلك سـهَّل بشكل كبير من تحسين صورة الشـيعة عند عوام المسلمين، وهـو ما سهَّـل - من ثَمَّ - عمليات الاختراق المتعددة.

أصول الشيعة والتقريب[1]:

تأبى أصول الشـيعة إيجاد أي تقارب حقيقي مع أهل السـنة، إذ هما ضدان لا يلتقيان أبداً، والناظر في أصول الفريقين يـدرك ذلك بأدنى نظرة حيـال بعض الأصول المعروفة لدى القوم:

١ - الشيعة وتحريف القرآن:

القرآن الكريم كتاب الله الذي تكفَّل بحفظه فقال في تأكيد مجزوم به: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] وهـو ما يقطع بأن الذكـر محفوظ، وقد انعقد إجماع المسلمين على ذلك، والقرآن هو أصل الأصول وإليه المرجع في أمر الشريعة كلها، والقول بتحريفه يُسقِط الحجة به، ويُسـقِط في الوقت نفسه جدية الحديث عن التقريب، إذ كيف يمكن التقريب بين من يرى أن القرآن أصل الأصول وبين من يرى أنه محرَّف مبدَّل، أو أنه ناقص غير كامل؟

٢ - الشيعة وأصحاب رسول الله ﷺ:

إن الناظر في كلام الشيعة المدوَّن في مذهبهم وكتبهم فـي حق أصحاب رسـول الله ﷺ يجـد الحكم بكفرهم وردتهم إلا نفراً يسـيراً، وتصويرهم بأقبح صورة وكأنهم مجموعة من الأشـرار أو قطَّاع الطريق الذين لا همَّ لهم غير التكالب على الدنيا، ولا شك أن هذا إلى جانب كونه ذمـاً لهؤلاء الصحابة الأطهار الذين لا مثيل لهم في عالم البشر، والذين قام الإسـلام على أكتافهم ولم يصل إلينا كلام الله - تعالى - وكلام رسوله ﷺ إلا عن طريقهم؛ هو ذم أيضاً في حق صاحب الرسالة؛ إذ كيف يحيط به أمثال هـؤلاء ويدنيهم منه ويثني عليهم، ولا يتبين له حالهم رغم عشرته لهم سنوات متطاولة؟!

وسبُّ الصحابة والطعن فيهم مُفْضٍ إلى ضياع الدين؛ لأن القدح فيهم مانع من قبول ما يروونه من أحكام الشرع، بينما الصحابة عند أهل السـنة هم خير القرون كما ثبت بذلك الحديث، وهم الذين تلقوا الإسـلام عن رسول الله ﷺ علمـاً وعملاً ونقلوه إلى من بعدهـم كما تلقوه، وهم الذين مدحهم ربهم في القرآن وأثنى على جماعتهم فقال - تعالى -: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ [التوبة : ١٠٠]، فبينما يترضى أهل السـنة على الصحابة نجد الشيعة يكفرونهم ويلعنونهم، ولم ينجُ من هذا الحكم حتى أفضل الناس بعد

(١) ينظر في أصول الشيعـة وعقائدها: كتاب: مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة د. ناصر بن عبد الله القفاري، وكتاب: لله.. ثم للتاريخ، لمؤلفه السيد حسين الموسوي من علماء النجف، وكتاب فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب للطبرسي، وكتاب: الكافي للكليني.

نبيهم أبو بكر وعمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنهما - ولا أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها، فكيف يحدث تقارب في ظل هذا التعارض الشديد في هذا الموقف؟!

٣ - الشيعة وتكفير أهل السنة:

تقوم نظرة الشيعة إلى أهل السنة على تكفيرهم إياهم، ومن ثم نجدهم على مدار التاريخ يعاونون الكفار الأصليين عليهم، ولم تكن هذه مجرد حالة طارئة أو استثنائية، بل كانت منهجاً متَّبعاً، ولعل ما حدث في وقتنا الحاضر من معاونة الشيعة للعدو النصراني ومساعدته في احتلال أفغانستان والعراق دليل واضح على ذلك، بل بلغ من طغيانهم واستخفافهم بأهل السنة أنهم يعلنون ذلك ولا يستترون به.

٤ - الشيعة والغلو في الأئمة:

الإمام سواء كان إماماً في الدين أو إماماً في الإمارة والسياسة له مكانة كبيرة في الإسلام، لكن مكانته عند الشيعة تفوق مكانة الأنبياء والملائكة؛ حيث لهم - كما يدَّعون - اطِّلاع على علم الغيب، وأنهم معصومون، ولا يُتَصَوَّر منهم الخطأ فضلاً عن المعصية، فكان مثلهم مثل أهل الكتاب الذين قال الله عنهم: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١]، فقد بوَّب الكليني في كتابه (الكافي) - الذي يُعَدُّ بمنزلة صحيح البخاري عند أهل السنة - عدة أبواب تدل على ذلك، فقال: «باب: أن الأئمة عندهم جميع الكتب التي نزلت من عند الله عز وجل وأنهم يعرفونها على اختلاف ألسنتها»، «باب: أن الله - عز وجل - لم يعلِّم نبيه علماً إلا أمره أن يعلِّمه أمير المؤمنين (ع) وأنه شريكه في العلم»، «باب: أن الأئمة يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل»[1].

٥ - الشيعة والتَّقيَّة:

من الأصول المعتمدة لدى الشيعة مسألة التَّقيَّة وهي أن يُظْهِر غير ما يُبطِن في أمر الدين، فلا تحصل لهم الثقة في أقوال علمائهم ولا يكونون على يقين من أحكام عباداتهم، إذ كل قول من أقوالهم يحتمل أنه قيل تقية، والتَّقِيَّة تُذهِب الثقة بكل كلام يقال، وتصبح قضية التقريب مجرد حيلة للتغلغل في وسط أهل السنة، فالشيعي يُظهِر نقيض ما يبطن، وإذا احتج عليهم محتج بمخالفة أئمة أهل البيت لما هم عليه؛ قالوا: إنما فعلوا ذلك أو قالوه تَقِيَّة، وإذا كان الأمر كذلك فكيف توجد الثقة في أقوال الشيعة وتصرفاتهم حيال أهل السنة؟ ولعلَّ ما يظهرونه من وفاق وائتلاف إنما هو من قبيل التقية، وحينئذ يبطل كل أثر للتقريب؛ لأنه قائم على إمكان الأمر ونقيضه في آنٍ واحد.

إلى غير ذلك من الطوامِّ الكثيرة؛ كالغيبة والبداء والرجعة وغيرها، التي يخالف بها الشيعةُ أهلَ السنة، والتي لا يجوز تصنيفها على أنها خلاف في الفروع.

يتبين لنا من كل ما تقدم أن الحديث عن إمكان التقريب في ظل احتفاظ كل فريق بأصوله؛ وَهْمٌ من الأوهام وخيال من الخيالات؛ لعدم إمكان حدوثه وتحققه، وخدعة من الخدع؛ إذ المقصود منه إيجاد القبول للشيعة عند أهل السنة وهو ما يترتب عليه نشر التشيع والرفض بين أهل السنة؛ فالأصول متناقضة والجمع بين النقيضين لا يتصور إمكانَهُ إلا ناقصو العقول، والتمسك بالوهم في ظل إصرار الطرف المقابل على التمسك بأصوله لا يكون له نتيجة سوى المزيد من التغلغل الشيعي في ديار أهل السنة؛ فهل يعي المفتونون بقضايا التقريب هذه الأمور؟ وهل نجد لهم وقفة جادة في بيان أصول الشيعة التي خالفوا فيها أهل السنة ونقدها وإظهار ما فيها من خطأ أو ضلال؟ وهل نجد الجدَّ والثبات في الشهادة على المبتدعة الضُّلَّال أنهم أهل بدعة وضلالة، وننتصر لكتاب الله - تعالى - وسنة رسوله الأمين وأصحابه الغر الميامين، ولا نجعل السياسة غير الشرعية بمصالحها الوهمية هي الحاكمة على تصرفاتنا في مثل هذه القضايا المصيرية؟ لعل ذلك يكون.

اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد يُعَزُّ فيه أهل طاعتك، ويُذَلُّ فيه أهل معصيتك، ويُؤمَر فيه بالمعروف ويُنهى فيه عن المنكر؛ آمين!

(١) هناك من الشيعة من يظهر أمام أهل السنة عدم موافقته على هذه الأصول الباطلة، ويوافق أهل السنة على كثير مما يقولونه، لكن وقوف هذا التصرف عند حد الكلام من غير أن يتبعه عمل يؤكده ويدل عليه يجعل الكثيرين يعدون هذا المسلك من باب التقية، لا سيما أن التقية مما تدين به الشيعة.



فقه الخلاف



د. ياسر برهامي

في هـــذه الحقبة التي نمر بها في ســاحة الدعوة إلى الله - تعالى - يســعى العلماء العاملون وطلبة العلم المخلصون بقصارى جهدهم إلى توحيد الكلمة ولمِّ الشمل ورَأْب الصــدع والتوحد لإعلاء كلمة الله، وكل ذلك إنما يتأتّى بتضييق فجوة الخلاف بين أبناء الأمة وتجاوز ما يسعنا مجاوزته إلى غيره للتقدُّم خطوات إلى الأمام بعد إحياء الصحوة الإسلامية في نفوس أبناء الأمة.

ومــا كنا نظـن أن يخرج علينا مــن ينادي بطمس الخــلاف أصــلاً ليصنع من ذلك إطاراً مطاطياً يســع كل الأفكار المنحلة الشــاذة بحجــة التوحد لدفع العدو المشــترك، ولذا توجب علينـــا توضيح فقه الخلاف بين المسلمين وأنواعه وأحكامه؛ فكانت هذه الكلمات..

الاختلاف أمر قدري كوني:

قال الله - تعالى -: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [هود: ١١٨ - ١١٩].

قال ابن كثيـر - رحمه الله -: «قـال الحســـن - رحمه اللـــه -: الناس مختلفون على أديان شــتى إلا من رحم ربك؛ فمــن رحم ربك غير مختلف. فقيل لــه: لذلك خلقهم؟ قال: خلق هؤلاء لجنته، وخلق هؤلاء لنــاره، وخلق هؤلاء لرحمته، وخلق هؤلاء لعذابه. وكذا قال عطاء والأعمش». اهـ.

وقد دلت الأدلة علـى أن الاختــلاف بــين النــاس واقــع لا محالة، وقضاء الله به نافذ لسبق الكلمة منه بتأجيل الفصل والقضاء بين الناس إلى أجل مسمى.

ولكن هل يعني هذا أن نستسلم لهذا القدر؟

كلا؛ فهذا الاختلاف من قدر الله الذي أمرنا شــرعاً أن نفرَّ منــه إلى قدر الله؛ بالائتــلاف والاجتماع، فندفع القدر بالقــدر، وننازع القدر المكروه بالقدر المحبوب. والواجب اتِّباع الشــرع والإيمان به، وليــس تــرك الشــرع والاحتجــاج بالقدر. قال - تعالى -: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ودلت الآية على أن الاجتماع يكون على حبل الله المنزَّل من السماء إلى الأرض، وهذا هو الاجتماع المأمور به شرعاً.

وهذا يوضح لنا المنهج الصحيح فيما يكون عليه الاجتماع، ليس كما يظن بعضهم أن نجتمع على أي شيء وأن أصل الأصول أن تجتمع القلوب ولو كان على خلاف الحق، ثم هذا وَهْم كبير أن تجتمع القلوب على غير حبل الله المتين وعلى غير البينات، فلن يتحقق هذا الاجتماع الموهوم، ولو فرضنا تحققه لكان غير مشروع؛ لأن الله لم يأمرنا بأي اجتماع وإنما أمرنا باجتماع معين.

وقال - تعالى -: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥]. ودلت الآية على أنه ليس أي افتراق منهياً عنه، وإلا فأهل الإسلام يفارقون أهل الكتاب وأهل الملل الباطلة؛ فهل هذا الافتراق مذموم؟ هم المذمومون عليه؛ لأنهم خالفوا البينات.

ومن الأدلة على لزوم دفع قدر الاختلاف بقدر آخر من الاجتماع على الحق قول النبي ﷺ: «إنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم»[(١)]، وقال - عليه الصلاة والسلام -: «لَتُسَوُّنَّ صفوفكم أو لَيخالفَنَّ الله بين قلوبكم»[(٢)]. وفي هذا الحديث دليل صريح على أن الاختلاف في الظاهر يؤدي إلى الاختلاف في الباطن.

وكذلك من أوضح الأدلة على ذلك ما أخرجه أبو داود عن أبي ثعلبة الخشني قال: كان الناس إذا نزلوا منزلاً تفرقوا في الشعاب والأودية، فقال رسول الله ﷺ: «إن تفرقكم في هذه الشعاب والأودية إنما ذلكم من الشيطان». فلم ينزلوا بعد ذلك منزلاً إلا انضم بعضهم إلى بعض حتى يقال: لو بُسِطَ عليهم ثوب لعمَّهم»[(٣)].

فالواجب الشرعي عند الاختلاف يكون بأمرين:

١ - السعي إلى التوحد والاجتماع على سنة رسول الله ﷺ بفهم وتطبيق الخلفاء الراشدين ومن معهم من الصحابة رضي الله عنهم.

٢ - محاربة البدع والأهواء المفرقة للأمة حتى يقلَّ أنصارها وأتباعها.

(١) أخرجه مسلم.

(٢) صحيح الجامع: ٥٠٧٠، وأخرجه مسلم بلفظ: «بين وجوهكم».

(٣) أخرجه أبو داود، وصححه الألباني.

أنواع الخلاف الواقع بين المسلمين:

باستقراء ما وقع من اختلاف يمكن أن نقسم الخلاف الواقع بين المسلمين إلى: اختلاف تنوع، واختلاف تضاد.

واختلاف التضاد ينقسم إلى: خلاف سائغ (أي: معتبر وغير مذموم)، وخلاف غير سائغ (أي: غير معتبر ومذموم).

أولاً: اختلاف التنوع:

وهو ما لا يكون فيه أحد الأقوال مناقضاً للأقوال الأخرى، بل كل الأقوال صحيحة.

أمثلة هذا الاختلاف:

١ - وجوه القراءات وأنواع التشهدات والأذكار.

٢ - الواجب المخير مثل: كفارة اليمين، فهو مخير بين إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو تحرير رقبة، فأي واحد من الثلاثة أجزأه، ولكن لا يجوز الانتقال إلى الصوم إلا إذا عدمت هذه الثلاثة.

٣ - تنوع الهمم في الأعمال الصالحة، فيجتهد في نوع خاص من الأعمال؛ كالصلاة أو الصوم أو الصدقة أو الجهاد، وكذا تنوع الهمم في طلب العلم، فيجتهد في علم معين؛ مثل: علم التفسير أو علم الحديث أو علم التجويد، ولكن مع أداء الواجب في غيرها.

٤ - تنوع الأعمال بين الجماعات الإسلامية؛ فبعضها تجعل همها الأكبر طلب العلم بأنواعه، وبعضها تجعل همها التبليغ والدعوة، وبعضها الجهاد في سبيل الله، ولا شك أن هذا كله مطلوب وليس بمذموم، بل تحقيق التكامل فيه بين الاتجاهات الإسلامية هو ما يحقق للصحوة كل خير.

محاذير هذا الاختلاف:

١ - أن يكون انشغال الأفراد والجماعات بما يرونه أفضل الأعمال سبباً لتركهم الواجبات الأخرى التي تمثل الحد الأدنى من الإسلام، فلا بد من تحقق القدر الأدنى الذي لا يسع المسلم جهله من معاني الإسلام والإيمان وصلاح القلوب؛ فلا يجوز أن يكون الاشتغال بعلم الحديث مثلاً سبباً للجهل بالعقيدة أو الفقه بالحلال والحرام، وكذلك لا يجوز لطلاب العلم في وقت الجهاد أن يتركوا الجهاد العيني زعم بانشغالهم بطلب العلم، كما أنه لا يجوز للمجاهدين أن يتركو الواجب عليهم من العلوم التي هي فرض عين عليهم؛ زعم بانشغالهم بالجهاد، فإن جهلهم ومعاصيهم من أعظم أسباب هزيمتهم.

وأما فـــروض الكفايات فلا يجوز تقديمهـــا ابتداءً على فـــروض الأعيان. وعلى الجماعات الإســـلامية التي تهتم كل منها ببعض فروض الكفايات أن تتعاون مع بعضها؛ لشدِّ أزرها وتحقيـــق التكامل والتعاون فيما بينها، مـــع تقديم النصح لما يرونه من أخطاء داخل أي منها.

٢ - ومـــن المحاذيـــر أيضاً تربيـــة الأفـــراد داخل هذه الجماعات على تحقير العلـــوم الأخرى التي ليس لجماعتهم اهتمام كبير بها؛ ففي الحديث: «بحســـب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم»[1]، فقد ربَّى النبيُّ ﷺ الصحابةَ على عدم تحقير أي عمل صالح يصدر من أي مســـلم ومسلمة، بل ربما كان فيه نجاته، كما في حديـــث البغيِّ التي دخلت الجنة في كلب سقته.

٣ - التحذير من أن يكون عقـــد الولاء والبراء على هذه الأعمـــال المتنوعة والأولويات المختلفـــة، وتقديمه على أصل الولاء لدين الله والمنهج الإســـلامي الصحيح منهج أهل السنة والجماعة بشـــموله وتوازنه، قـــال - تعالى -: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُـــولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُـــوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُـــونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥]، فإذا تجنبنا هذه المحاذير فإن هذا النوع من الخلاف ينبغي اســـتثماره لتحقيق التكامل بين المســـلمين على اختلاف طبقاتهم.

ثانياً: اختلاف التضاد:

وهـــو أن يكون كل قول من أقـــوال المختلفين يضاد الآخر ويحكم بخطئه أو بطلانه في أصل الحكم الشرعي لا الفتوى فحسب.

ووقـــوع هذا النوع من الخلاف بين الملـــل والعقائد والأديان مـــن المعلوم بالضرورة والمجمع عليه بين المســـلمين. ولم يخالف في ذلـــك إلا الزنـــادقة المنافقون الذين ينـــادون بوحدة الأديان ومساواة الملل تحت مسمى (وحدة الوطن) أو (وحدة الإنسانية) أو غيرها.

ولا خلاف بين العلماء في أن من لم يكفِّر اليهود والنصارى وغيرهم، بل حتى لو شـــك في كفرهم؛ فهو كافر مرتد مكذب لله ورسوله ﷺ، قال - تعالى -: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِـــي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِـــرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال النبي ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة لا يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به إلا أدخله الله النار»[2].

(١) أخرجه مسلم.

(٢) متفق عليه.

هل المصيب للحق واحد، أم كل مجتهد مصيب؟

الصحيح الذي دل عليه الكتاب والســـنة وإجماع الصحابة - رضي الله عنهم - وعليه أئمة العلم أن الحق واحد في قول أحد المجتهدين، ومن خالفه فهو مخطئ في الأصول أو الفروع، في العقائد أو الأعمال، في الأمـــور العلمـــية أو العملية.

والدليـــل على ذلك: قوله - تعالى -: ﴿وَدَاوُدَ وَسُـــلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَـــتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَـــا سُـــلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَـــخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَـــبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٨ - ٧٩]، والدلالة من الآية أنهما لو استويا في إصابة الحكم لم يكن لتخصيص ســـليمان بالفهم معنى، وهي تدل أيضاً على أن المجتهد الذي بذل وســـعه في البحث عن الحق فأخطأه يكون الإثم مرفوعاً عنـــه، بل يثاب على اجتهاده؛ لأن الله - ســـبحانه - مدح كلاً منهما وأثنى عليهما بقوله: ﴿وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٩]، وقـــال النبي ﷺ: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر»[3].

وأما إجماع الصحابـــة؛ فقـــد قـــال ابن قـــدامة - رحمه اللـــه -: «أمـــا الإجمـــاع؛ فـــإن الصحـــابـــة - رضـــي الله عنهم - اشـــتهر عنهم في وقائع لا تُحصى إطلاق الخطأ على المجتهدين»[4].

قال ابن قدامة - رحمه الله -: «قال بعض أهل العلم: هذا المذهب (وهو أن الاجتهاد لا ينقســـم إلى خطأ وصواب) أوله سفسطة وآخره زندقة؛ لأنه في الابتداء يجعل الشيء ونقيضه حقاً، وبالآخرة يخير المجتهدَيْن بـــين النقيضَيْن عند تعارض الدليلَيْن ويختار من المذاهب أطيبها».

ولذا فتعليل الأحكام بالخلاف ليس بحجة.

قال ابن عبد البر - رحمه الله -: «الاختلاف ليس بحجة عنـــد أحد علمته من فقهاء الأمة إلا من لا بصر له ولا معرفة عنده ولا حجة في قوله»[5].

قال شيخ الإســـلام ابن تيمية - رحمه الله -: «ولا يجوز تعليل الأحكام بالخلاف؛ فإن تعليلها بالخلاف علة باطلة في نفس الأمر، فإن الخلاف ليس من الصفات التي يعلق الشارع بها الأحـــكام في نفس الأمر، وإنما ذلـــك وصف حادث بعد النبي ﷺ، وليس يســـلكه إلا من لم يكن عالماً بالأدلة الشرعية في نفس الأمر لطلب الاحتياط».

(٣) متفق عليه.

(٤) روضة الناظر، ص ١٩٦.

(٥) جامع بيان العلم، ص ٣٥٦.

أنواع اختلاف التضاد:

دلَّ قوله – تعالى –: ﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٥] على أن اختلاف التضاد ينقسم إلى خلاف سائغ (أي: معتبر وغير مذموم) وهو ما لم يخالف البينات، وخلاف غير سائغ (أي: غير معتبر ومذموم) وهو ما خالف البينات.

أ – الخلاف السائغ:

وهو ما لا يخالف نصاً من كتاب أو سنة صحيحة، أو إجماعاً أو قياساً جلياً؛ سواء كان في العقائد أو الأحكام.

والنص: هو ما لا يحتمل إلا معنى واحداً.

أسباب وجود الخلاف السائغ:

أ – أن الشرع لم ينصب دليلاً قاطعاً على كل المسائل، بل جعل لبعضها دليلاً ظنياً يحتاج إلى بحث واجتهاد ونظر.

ب – أن قدرة العباد على البحث والاجتهاد متفاوتة، فما يقدر عليه بعضهم يعجز عنه بعضهم الآخر.

ج – أن أفهام العباد متفاوتة، قد فضَّل الله بعضهم على بعض فيها، فما يراه الواحد قد يغيب عن الآخرين.

د – أن طريقة التعلم والتعليم بين علماء المسلمين في بلادهم مختلفة، وقد فطر الله العباد على التأثر بما تعلموه أولاً.

ويترتب على ما سبق:

أن الخلاف السائغ ينشأ نتيجة عدم وصول الدليل إلى المخالف، وإذا وصله قد لا يثبت عنده إما لضعف أو لنسخ أو لغير ذلك، وإذا ثبت فقد لا يرى فيه دلالة أصلاً، أو يجمع بينه وبين أدلة أخرى.

إذا علمنا أن هذه الأسباب لا يمكن إزالتها عرفنا التالي:

١ – أن الاجتهاد في معرفة الراجح من أقوال أهل العلم بحسب ما وصل إليه من الأدلة وما استنبطه منها؛ لن يلغي اجتهاد غيره.

٢ – أن هذا الراجح راجح نسبي أي: أنه راجح عند بعض أهل العلم مرجوح عند بعضهم الآخر.

٣ – لا يجوز أن تضيقَ الصدور بوجود هذا النوع من الخلاف بين أهل العلم؛ خاصة بين أهل السنة وأتباع السلف.

٤ – لا يمكن أن تجتمع الأمة كلها في كل المسائل على قول واحد، فلن يحدث هذا إلا إذا زالت أسباب هذا الخلاف كلها، وذلك لا يقع.

٥ – ليكن شعارنا في ذلك دائماً: «يسعنا ما وسع السلف، ولا يسعنا ما لم يسعهم».

ما هو الواجب تجاه هذا النوع من الخلاف؟

يختلف ذلك حسب مرتبة كل إنسان في العلم:

١ – العالم المجتهد يلزمه البحث والاجتهاد وجمع الأدلة والنظر في الراجح منها، فما ترجَّح عنده قال به وعمل به وأفتى.

٢ – طالب العلم المميز (القادر على الترجيح) عليه أن يعمل بما ظهر له دليله من أقوال العلماء.

٣ – العامي المقلِّد (العاجز عن معرفة الراجح بنفسه) عليه أن يقلِّد الأعلم الأورع الأوثق من أهل العلم، ويسأله عن الراجح فيعمل به في نفسه، ويجوز نقله لغيره من غير إلزام لهم ومن غير إنكار على من خالفه بأيٍّ من درجات الإنكار.

أما ما يفعله كثير من أهل زماننا في مسائل الخلاف السائغ، بل غير السائغ بأخذ ما يشتهون؛ لا بحسب الأدلة والاجتهاد، بل بمجرد موافقته ما يظنونه مصلحة أو تيسيراً على الناس، وأن الرسول ﷺ لم يُخيَّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما، وبحجة أن المسألة خلافية؛ فهذا مخالف للإجماع الذي نقله ابن عبد البر وغيره أنه لا يجوز تتبُّع رخص العلماء فضلاً عن الزلات والسقطات.

قال ابن قدامة – رحمه الله –: «قال بعض أهل العلم: هذا المذهب (وهو أن الاجتهاد لا ينقسم إلى خطأ وصواب) أوله سفسطة وآخره زندقة؛ لأنه في الابتداء يجعل الشيء ونقيضه حقاً، وبالآخرة يخير المجتهدَيْن بين النقيضَيْن عند تعارض الدليلَيْن ويختار من المذاهب أطيبها». اهـ. وقد سبق نقل كلام ابن تيمية وابن عبد البر أن التعلق بالخلاف ليس حجة أصلاً.

مصادمة السنة بآراء الرجال ليس من الخلاف السائغ:

قد تكون المسألة اجتهادية من مسائل الخلاف السائغ عند العلماء، ولكن يكون بعضهم قد استبانت له سنة رسول الله ﷺ فلا يقول بها، بل يعارضها بأقوال العلماء المجردة عن الدليل عنده؛ فهو يعرف السنة ويعرف أن بعض أهل العلم خالفها، ولا يعرف وجهه ولا دليله، فلا تكون هذه المسألة في حقه من الخلاف السائغ، بل هذا مخالف للإجماع.

قال الشافعي – رحمه الله –: «أجمع العلماء على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس».

وقال لرجل سـأله عن مسـألة فأجابه فيهـا بحديث، فقال له: أتقـول به يا أبا عبد الله؟! قـال: «أتراني خرجت من الكنيسة؟! أتراني أشُدُّ على وسطي زنـاراً؟! أقـول: قال رسول الله ﷺ ولا أقول به؟! نعم على العين والرأس»[1].

وسئل أبو موسى الأشعري - رضي الله عنه - عن مسألة فأجاب فيها، ثم قال: «ائتِ ابن مسعود فسلْه فسوف يوافقني، فقال ابن مسعود: قد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين إن وافقته، ولكن أقول بقول رسول الله ﷺ.. وذكر الحديث».

وقد قال ابن مسـعود - رضي الله عنه - ذلك عن نفسه؛ لأنه علم الحديث بخلاف أبي موسى - رضي الله عنه - الذي لم يعلمه. وهذا من أدب ابن مسعود رضي الله عنه.

أمثلة للخلاف السائغ:

أولاً: في الأمور الاعتقادية والعلمية:

هذا النوع من الخلاف يندر وجوده في أمور الاعتقاد؛ لأن الأصول الكبرى من الإيمان بالله وأسـمائه وصفاته وربوبيته وألوهيته والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشـره؛ كلها إما من المعلوم من الدين بالضرورة أو من المجمع عليه بين المسلمين.

ولكـن قد يوجد في بعض تفاصيـل ذلك بعض الخلاف السائغ، ومن ذلك:

الخـلاف في رؤية النبي ﷺ ربَّـه ليلة المعراج، والخلاف في الخضر هل هو نبي أم لا؟ والخلاف في عصمة الرسـل - عليهم السـلام - من الصغائر غيـر المزرية، والخلاف في رؤية الله في أرض الموقـف: هل هي خاصة بالمؤمنين فقط؟ أم يراه المؤمنون والمنافقون ثـم يُحجَب المنافقون؟ أم يراه كل أهل الموقف ثم يُحجَـب الكفار والمنافقون؟ والخلاف في أول المخلوقات: هل هو العرش أم القلم؟

ومنه: الخلاف في كثير من مسـائل التكفير؛ مثل: تكفير تارك الصلاة وباقي المباني الأربعة عدا الشـهادتين؛ تكاسلاً، وكذا تكفير بعض أهل البدع؛ كالخوارج والرافضة والمعتزلة.

ومنـه: الاختلاف فـي تحقيق المناط فـي قضايا تكفير الأعيان بناءً على استيفاء الشروط وانتفاء الموانع.

ثانياً: في الأمور الفقهية والعملية:

والخلاف في هذه الأمور كثير جداً، ولكن نشير إلى بعض المسائل التي عمَّت بها البلوى، وهو ما قد يسبِّب شقاقاً ونزاعاً بين أبناء الصحوة.

فمنه: الخـلاف فـي كثير من مسـائل الطهارة؛ مثل: الخلاف في جواز اسـتقبال القبلة واسـتدبارها عند قضاء الحاجـة، والخلاف في وجـوب المضمضة والاستنشـاق فـي الوضـوء أو اسـتحبابهما، والخلاف في وجوب غسـل الجمعة.

ومن مسائل الصلاة من هذا النوع من الخلاف: الخلاف في قراءة الفاتحة خلف الإمام؛ خاصة في الجهرية، والخلاف في وضع اليدين على الصدر بعد الركوع وإرسالهما، والخلاف في النزول على اليدين أم على الركبتين في السجود، والخلاف في وجوب بعض الصلوات غير الصلوات الخمس مثل: صلاة العيدين وتحية المسـجد والوتـر، والخلاف في وجوب صلاة الجماعـة وصلاة القصـر، والخلاف في مشـروعية صلاة الحاجة والتسـابيح والصلاة على الغائـب، وكذا في القنوت في صلاة الصبح.

ومن هذا النوع أيضاً: الخلاف في زكاة الزروع في غيـر ما نصَّ عليه الرسـول ﷺ، والخلاف في وجوب زكاة الحَلْيِ المُعَدِّ للزينة، والخلاف في جواز إخراج القيمة في الزكاة.

ومنـه: الخلاف في مسـألة اختلاف المطالـع في رؤية الهلال، والخلاف في وجـوب الكفارة على من أفطر متعمِّداً في رمضان بأكل أو شـرب، والخـلاف في الحامل والمرضع إذا أفطرتـا في رمضان: هل تقضيان ما عليهما أم تفديان أم عليهما القضاء والفدية معاً؟

ومنه: الخلاف في وجوب الحج: هل هو على الفور أم على التراخي؟ والخلاف في وجوب العمرة أو استحبابها، والخلاف في وجوب الأضحية والعقيقة أو استحبابهما.

ومنـه: الخلاف في وقوع الطـلاق المعلَّق أو عدم وقوعه وتجـب فيه كفَّارة يمين، وفي وقوع طلاق الثلاث بلفظ واحد: هل يقع ثلاثاً أم واحداً؟ وفي حد الخمر: هل هو أربعون جلدة أم ثمانون؟

ومنه: الخلاف في وجوب الختان أو اسـتحبابه في حق النساء.

ومنه: الخـلاف في التصوير الشمسـي (الفوتوغرافي) فقط: هل هو داخل في النهي أم لا؟ والخلاف في أكل اللحوم المستوردة: هل يجوز أكلها أم يحرم؟ والخلاف في أخذ ما زاد عـن القبضـة من اللحيـة، والخـلاف في تحريم الإسـبال بـدون خيلاء أو كراهيتـه فقط، والخلاف فـي جواز زيارة المرأة للقبور، والخلاف في جواز التوسـل إلى الله بحق بعض المخلوقين.



تنبيه:

يظن بعضهم أن الخلاف السائغ يكون بين الوجوب والاستحباب أو بين الكراهة والتحريم فقط، والحق أنه أوسع من ذلك؛ فقد يُختلَف في الشيء الواحد فيقول بعضهم باستحبابه وآخرون بحرمته، أو يقول بعضهم بسنّيته وآخرون ببدعيّته، ولعل ما مرَّ من الأمثلة يوضح ذلك.

ب - الخلاف غير السائغ:

وهو ما خالف نصاً من كتاب أو سنة صحيحة أو إجماع أو قياس جلي؛ سواء كان في العقائد أو الأحكام.

وقد قدمنا أن النص ما لا يحتمل إلا معنىً واحداً، مع التنبيه أنه لا مجال للقياس في العقائد.

أمثلة الخلاف غير السائغ:

وهذا النوع من الخلاف يكثر في المسائل الاعتقادية وهو أقل في الفروع العملية.

أولاً: في الأمور الاعتقادية والعلمية:

وهذا منه ما يكون كفراً نوعاً وعيناً، ومنه ما يكون كفراً نوعاً لا عيناً، ومنه ما يكون بدعة ضلالة وليست كفراً.

فمن النوع الأول وهو ما يكفر فيه المخالف نوعاً وعيناً:

١ - غلاة النفي والتعطيل في أسماء الله وصفاته؛ كغلاة الجهمية والباطنية والفلاسفة.

٢ - الحلولية والاتحادية.

٣ - غلاة الصوفية الذين يعتقدون بآلهة مدبرة للعالم مع الله في الضر والنفع، وتصريف الأمور والتشريع، ويصرحون بصرف العبادة لها من دون الله.

٤ - غلاة القدرية الأوائل نفاة العلم الإلهي، وكذلك من ينفي كتابة المقادير في اللوح المحفوظ.

٥ - غلاة الجبرية الذين يصرحون بنسبة الظلم إلى الله تعالى، ويقولون بالإباحية وترك الفرائض لمن شهد القدر.

٦ - غلاة المرجئة الذين يقولون: إن الإيمان هو المعرفة فقط، ويصرحون بإيمان إبليس وفرعون، ولا يحرِّمون ما عُلم تحريمه بالضرورة ولا يوجبون الفرائض المعلومة من الدين بالضرورة، ولذا أطلق عليهم (المرجئة الإباحية).

٧ - غلاة الرافضة والشيعة الباطنية، الذين يعتقدون الإلهية في غير الله؛ كالعلويين (النصيريين) والدروز، أو يعتقد خطأ الرسالة أو تحريف القرآن.

٨ - من يعتقد أن الشريعة الإسلامية غير صالحة إما مطلقاً أو لهذا الزمان، ويفضِّل عليها شرائع البشر الوضعية.

٩ - من يعتقد بمساواة الملل وعدم كفر اليهود والنصارى مع علمه بعبادتهم لغير الله، وتكذيبهم للنبي ﷺ وللقرآن.

ومن النوع الثاني وهو ما يكون كفراً نوعاً لا عيناً:

١ - المعتزلة: الذين يثبتون أسماء الله دون الصفات.

٢ - الخوارج: الذين يكفرون الصحابة - رضي الله عنهم - ويكفرون مرتكب الكبيرة ويخلِّدونه في النار.

٣ - الرافضة: الذين يسبون الصحابة ومنهم من يكفرهم، ويعتقدون أن أول الخلفاء علي رضي الله عنه.

٤ - القدرية: الذين يثبتون علم الله وكتابة المقادير، وينفون مشيئته وخلقه لأفعال العباد.

٥ - الصوفية: الذين يطوفون بقبور الأولياء، ويصرفون لهم العبادة؛ كطلب المدد والنذر والذبح.

٦ - من يلزم الناس في التشريع العام بقوانين وأحكام تخالف شرع الله ويحتمه عليهم.

والصحيح في هذا النوع من الخلاف أن هذه الأقوال البدعية أقوال كفرية، ولكن نظراً لكثرة الجهل وانتشار البدع وعدم تميز أصحاب العقائد الكفرية عن غيرهم من أهل البدع غير المكفرة؛ لم يمكن إطلاق الكفر على عمومهم وعوامهم قبل إقامة الحجة على أعيانهم، واستيفاء الشروط وانتفاء الموانع.

ومن النوع الثالث وهو ما يُبَدَّع فيه المخالف مع الاتفاق على عدم تكفيره:

١ - الشيعة المفضلة: الذين يقرون بخلافة أبي بكر وعمر وعثمان - رضي الله عنهم - ولكنهم يفضلون علياً - رضي الله عنه - عليهم.

٢ - المرجئة: الذين يقولون: إن الإيمان هو القول والتصديق فقط، دون عمل القلب والجوارح.

٣ - الأشاعرة والماتريدية: الذين يثبتون سبع صفات لله أو ثمانياً، ويؤوِّلون باقيها.

٤ - ومنه: الاحتفال بالموالد والأعياد البدعية والمشاركة فيها بزعم الاختلاط بالناس لدعوتهم.

٥ - ومنه: موالاة أهل البدع مع السكوت على بدعهم كالروافض والصوفية.

٦ - ومنه: الدخول في الأحزاب والهيئات العَلْمانية دون الضوابط الشرعية المتفق عليها.

٧ - ومنــه: تأصيــل ترك الدعوة إلى مســائل العقيدة والسياسة وأمراض الأمة والبدع والولاء والبراء.

ثانياً: في الأمور الفقهية والعملية:

فمن ذلك:

١ - عند بعض الشافعية: القول بجواز زواج الرجل بنته التي خُلقت من ماء الزنى منــه، والقول بحرمة الختان قبل بلوغ عشر سنين.

٢ - عند بعــض المالكية: القول بكراهيــة صيام الأيام الستة من شوال.

٣ - عند بعض الحنابلة: القول بوجوب صوم يوم الشك، والقول بوجوب الكفارة في الحلف بالنبي ﷺ.

٤ - عنــد الحنفية: القول بعدم وجــوب الطمأنينة في الصلاة، وبصحــة النكاح بدون ولي، وبجواز شــرب النبيذ المسكر كثيره من غير عصير العنب.

٥ - عند ابن حزم الظاهري: القول بنفي القياس جملة، وجواز ســماع الملاهي، وتفضيل نســاء النبــي ﷺ على كل الصحابة.

٦ - قول بعض المعاصرين بجعل دية المرأة كدية الرجل.

٧ - قول الشــوكاني بطهارة الدم المســفوح وتابعه عليه بعض المتأخرين، وهو مخالــف للإجمــاع الــذي نقلــه ابن عبــد البر، والنـــووي، والقرطبي، وابن رشــد، وابن قدامة رحمهم الله أجمعين.

أسباب وجود الخلاف غير السائغ:

١ - الجهل ونقص العلم وظهور البدع واختلاف المناهج:

قال النبي ﷺ: «إن اللــه لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه مــن العباد، ولكن يقبض العلم بقبــض العلماء؛ حتى إذا لم يُبْقِ عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسُئلوا فأفتوا بغير علم فضلّوا وأضلّوا»[1].

فتأمــل في أول اختلاف وقع علــى ظهر الأرض بظهور أول شــرك في قوم نوح عليه السلام، ألم يكن بسبب نقص العلم وموت العلماء؟ وتأمل كيف تســلَّط الأعداء على أمتنا الإسلامية عندما ظهرت البدع وعمَّ الجهل، وانظر إلى غزو الصليبيين لبيت المقدس كيف وقع بعد ظهور دولة العبيديين

(١) متفق عليه.

أخزاهم الله، وكيف تســلَّط الأوروبيون على المســلمين بعد أن ســاد التصوف في الدولة العثمانيــة حتى حاربوا دعوة التوحيد التي قادها شــيخ الإســلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

٢ - التعصب المذموم للأســماء والأشــخاص، وضعف الولاء والبراء على الكتاب والسنة:

وهذا من أخطرها تدميــراً للعمــل الإســلامي، وهــذا ما جعل كثيراً ممن نحسب منهم الصدق والإخلاص يقولون بعدم مشروعية العمل الجماعي بالكلية، واعتبار الجماعات العاملة على الساحة أحزاباً باطلة يجب التحذير منها.

وقد حذَّرنا النبــي ﷺ من دعوى الجاهلية حينما تنادى المهاجرون: يا لَلمهاجرين! وتنادى الأنصار: يا لَلأنصار! فقال ﷺ: «دعوها؛ فإنها منتنة»[2]، مع أن اسم المهاجرين والأنصار من أشــرف الأسماء، وهي الأسماء التي سمَّاهم الله بها في كتابه، وسمّاهم الرسول ﷺ بها في سنته.

٣ - البغي والتنافس على الدنيا ورئاستها:

قــال - تعالى - : ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [الشــورى: ١٤]، وقال النبي ﷺ: «ما الفقرَ أخشى عليكم ولكن أخشــى أن تُبسَــط عليكم الدنيا كما بُســطت على من كان قبلكم فتنافســوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم»[3].

فتأمَّــل - رحمك الله - في التاريــخ كيف قُتل عثمــان - رضــي الله عنه - ظلماً وعدواناً بســبب تنافس من قتلوه على الرياســة وليســوا لها أهلاً، بل تأمل حال المســلمين عندما سقطت بغــداد عاصمــة الخلافة في أيدي التتار؛ فمــا حركوا ســاكناً، بل ظل كل أمير وملك مشــغولاً بمُلْكه ورياسته.

ثم انظر إلى حال المسلمين اليوم وتكالب الأعداء عليهم، وتداعي الأكلة من دول الغرب الكافر على بلاد المسلمين حتى مزَّقوها وشــتَّتوها وشــرَّدوا أهلها، وكل ذلك بسبب انشغال المسلمين بالدنيا وتنافسهم عليها؛ فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

والحق أن كثيراً مما يجري بين الاتجاهات الإســلامية المعاصــرة من اختلافــات مريــرة على المناهــج والأفكار والأولويات والأعمال سببه البغي وحب الرياسة وكثرة الأتباع، وإلا لما أثمرت هذه الثمار المرة في التعاملات التي تجري بين

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

هذه الاتجاهات وأفرادها.

٤ - ظهور رؤوس الضلال الدعاة على أبواب جهنم:

وهذا من أعظم أسباب الخلاف غير السائغ، كما في حديث حذيفة - رضي الله عنه -: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني. قال: قلت: يا رسول الله! إنَّا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير؛ فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم! قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم! وفيه دَخَن. قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يستنُّون بغير سنتي ويهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر. قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم! دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها. قلت: يا رسول الله! صفْهم لنا. قال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا. قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم. قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعضَّ بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»(١).

قال النووي - رحمه الله -: (دعاة على أبواب جهنم... قال العلماء: هؤلاء من كان من الأمراء يدعو إلى بدعة أو ضلال آخر؛ كالخوارج والقرامطة وأصحاب المحنة)(٢).

ولا شك أن منهم كذلك أهل البدع المعاصرة المنتسبين إلى الإسلام الداعين إلى الكفر والنفاق من أصحاب المذاهب الإلحادية؛ كالعَلْمانيين، والديمقراطيين، والاشتراكيين، والقوميين، وأصحاب القوانين الوضعية، وكذا سائر الأحزاب القائمة على خلاف مبادئ دين الإسلام، بالإضافة إلى دعاة البدع القديمة؛ كالروافض، والقبوريين، والخوارج، والمرجئة، وما أكثرهم في زماننا.

وسائل العلاج في الخلاف غير السائغ:

١ - الانتصار للسنة ومحاربة البدعة وقمعها، على منهج وطريق واحد هو طريق أهل السنة والسلف رضوان الله عليهم، ولن يتحقق ذلك إلا بنشر العلم بالكتاب والسنة بالتفسير السلفي السني وبالحديث الصحيح الثابت عن رسول الله ﷺ، فالاجتماع المأمور به ليس مجرد الاجتماع ولو على أي منهج.

٢ - إذكاء روح العمل الإسلامي الشامل في نفوس طلاب العلم، وبيان مسؤوليتهم عن أمتهم وأن عاطفتهم نحو قضايا المسلمين هي في الحقيقة جزء من إيمانهم، وأن عملهم في الدعوة التي تهدف إلى إقامة الفروض الضائعة في الأمة الإسلامية هو علامة انتفاعهم بالعلم، وأن التزامهم بالتعاون على البر والتقوى مع من هو أعلم منهم وأمثل في الدعوة هو علامة على انتفاء الكبر والحسد والرياء وحب الرياسة من قلوبهم.

٣ - تربية الأفراد على تعميق روح الولاء والبراء على الكتاب والسنة، وأن يكون عملهم لنصرة الإسلام لا غير، وأنه لا بد من قبول الحق والمعاونة عليه ممن جاء به وعلمه كائناً من كان؛ فما استطعنا أن نقوم به بالضوابط الشرعية قمنا به، وطلبنا من غيرنا أن يعيننا عليه وأن ينضبط في عمله بالشرع، وكذلك نعين غيرنا على ما قام به من ذلك.

٤ - معرفة حرمة المسلم وحرمة البغي والاستطالة عليه أياً كان، طالما بقي في دائرة الإسلام ولم يخرج منها إلى الكفر، فنتعامل بشرع الله مع من عاملنا به ومع من لم يعاملنا، فما عاقبت من لم يتق الله فيك بمثل أن تتقي الله فيه، قال رسول الله ﷺ: «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام؛ دمه وماله وعرضه»(٣).

٥ - جمع الناس على علمائهم، يرجعون إلى توجيههم في المهمات والملمَّات والنوازل.

٦ - الاتفاق على تحذير الناس من الدعاة على أبواب جهنم ومعرفة ضررهم.

وللأسف أن بعضاً من أبناء الصحوة يرى وجوب طاعة الدعاة على أبواب جهنم لما فرضوا على المسلمين أمراً واقعاً بالقوة لا بالحق. ولا شك في أهمية التفرقة بين الأمر الكوني الواقع والأمر الشرعي الذي هو الحق دون ما سواه.

مفاهيم خاطئة في علاج الخلاف غير السائغ:

١ - ليس العلاج كما يتوهم بعضهم هو التوسط بين أهل السنة وأهل البدعة، ومحاولة التوفيق بين المذاهب المتباينة والأقوال المتناقضة، أو سكوت كل فريق عن الآخر، مثل: محاولات التقريب بين السنة والصوفية، فتكون دعوة سلفية وحقيقة صوفية؛ فالخلاف بين أهل السنة والصوفية حقيقي عقائدي في توحيد الربوبية والألوهية والقدر والولاية

(١) متفق عليه.

(٢) شرح صحيح مسلم: ٦/٣٧.

(٣) رواه مسلم.

والشريعة والاتباع ومنهج التزكية وغيرها.

وكذلك محاولات التقريب بين السنة والشيعة لصالح ما يسمونه جهاداً، بزعم أن الخلاف مع الشيعة خلاف سياسي مضى زمنه والسكوت عنه أوْلى، بل إن الخلاف مع الشيعة خلاف اعتقادي في صفات الله وملائكته وأنبيائه والخلافة والإمامة وغيرها، ولهم مقالات كفرية في ذلك؛ فكيف يتم التقارب مع مثل هؤلاء، وأي جهاد هذا الذي يريدونه؟! فإن التاريخ دائماً يثبت أن موقف الرافضة في صف أعداء الإسلام، وسوء ممالأتهم لأهل السنة إذا ظهروا عليهم.

٢ - وليس العلاج كما يتوهم بعضهم كذلك أن يعمل كل امرئ بمفرده؛ بحجة أن العمل الجماعي بدعة أو حزبية أو غيرها من الشبهات. فكيف سيتم لهؤلاء تحقيق فروض الكفايات - مثلاً - التي تتطلب اجتماعهم وعدم تفرقهم كالجُمعات والأعياد وغير ذلك؟ وكيف سيتم لهؤلاء إعادة الخلافة على منهاج النبوة وبناء دولة الإسلام إذا كانوا أوزاعاً متفرقين؟ فهل يريدون أن يكون كل فرد خلافة مستقلة بنفسه؟ وهل هؤلاء لا يرجعون إلى شيوخهم ويسمعون ويطيعون كلامهم، بل وأوامرهم؛ دون أن يسموه عملاً جماعياً؟ ألا يُعَدُّ تجمعهم هذا على شيخ ما هو نفسه عملاً جماعياً في صورة تبديع العمل الجماعي؛ فوقعوا فيما ينكرون وهم لا يشعرون ولا محيص لهم عنه؟!

٣ - وليس العلاج كذلك بإلغاء الأسماء، فإن النبي ﷺ أنكر على الصحابة التعصب لاسم المهاجرين والأنصار، لكنه لم يلغ الاسم حتى بعد ذلك، وفي هذا دليل واضح على أن مجرد التسمِّي بأسماء معينة والاجتماع عليها ليس مذموماً؛ كأسماء السلفية والسنة والجهاد وأهل الحديث وغيرها أو كأسماء البلدان كالمصري والخراساني والنووي والعسقلاني والدمشقي والبغدادي، أو أسماء المذاهب كالحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي.

ولكن عندما ينقلب هذا الاجتماع إلى ولاء وبراء وحب وبغض؛ ويضيع من خلاله الحب في الله والبغض في الله؛ يصير جاهلية يجب الابتعاد عنها كما حذَّرنا النبي ﷺ.

وهذه - للأسف - حال كثير من الناس اليوم، يتعصب لجماعة معينة أو لبلد معين أو لعالم معين، ويغضب لذلك ويتغاضى عن الأخطاء التي تصدر عن طائفته دون النظر إلى مصالح باقي المسلمين، ويزداد الأمر سوءاً إذا رأى أن جماعته هي وحدها جماعة المسلمين، وأن من فارقها فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه.

وعلاج ذلك أن تحارب العصبية المحرمة لهذه الأسماء، لا أن يحارب التسمي بها بالكلية؛ فإن العلماء لم يحرموا التسمية بأسماء البلدان والمذاهب حتى بعد ظهور العصبية، بل تُحارَب العصبية دون تحريم ما أحله الله.

الموقف من العلماء الذين قالوا ببعض البدع أو الأقوال الباطلة:

أهل السنة متفقون على عدم ذمِّ من اجتهد فأخطأ أياً ما كان خطؤه ممن هو معروف بالخير والصلاح، كالصحابة - رضي الله عنهم - والأئمة الأعلام، ومن سار على نهجهم. ولا يستوي عندهم من أمضى عمره في العلم النافع والعمل الصالح والدعوة إلى الحق ونصرة السنة وأهلها، ومن أمضى عمره في الصدِّ عن سبيل الله ومحاربة السنة ونصرة البدعة، وكان خطؤه نتيجة تقصيره في طلب العلم والإعراض عنه.

فنقول في حق هؤلاء العلماء:

إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث، ولا يعني ذلك أن نصحح الأقوال الباطلة أو نسكت عن البدع المخالفة للحق، بل كما قال ابن القيم - رحمه الله - في حق الهروي: (وشيخ الإسلام حبيب إلى نفوسنا ولكن الحق أحب إلينا منه)، فلا بد من النظرة المتوازنة التي ترى الحسنات والسيئات، وتزن كل الأقوال بميزان الشريعة وتزن أصحابها بما عندهم من الخير والشر معاً.

ومن هنا فإن موقفنا من العلماء أمثال: ابن حجر، والنووي، والقرطبي، وغيرهم ممن قال بتأويل بعض الصفات، وهو نظير الموقف تجاه علماء السلف الأفاضل الذين وقعت منهم الزلات؛ نعرف لهم فضلهم ومنزلتهم، ونترحم عليهم ونترضى عنهم؛ لما عاشوا عليه وماتوا عليه من الخير العظيم، ونعرف خطأ هذه الأقوال وبدعيتها دون أن يستلزم ذلك تبديع المعين، ولا نبيح لأحد أن يتجرأ عليهم أو يقدح فيهم، كما يفعل بعض من لا يفقه أدب الخلاف عند أهل العلم.

مشروعية الإنكار في الخلاف غير السائغ:

أطلق كثير من العلماء ممن تكلم في شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن من شروط إنكار المنكر: (أن يكون المنكر غير مختلف فيه)، وربما قال بعضهم: (لا ينكر



إلا مـــا كان منكراً في مذهب فاعلــه)، وقد ورد في كلامهم أيضاً ما يقيد هذا الإطلاق، إلا أن بعض المنتسبين للجماعات الإسلامية استدل به على عدم مشروعية الإنكار في أي أمر خلافي دون اعتبار لنوع الخلاف فيه.

ولهذا كان لزاماً أن نذكر الأدلة على مشـــروعية الإنكار، وطريقة الصحابة في ذلك:

١ – قـــال – تعالى – : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾. [آل عمران: ١٠٤]

٢ – قوله ﷺ: «مـــن رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يســـتطع فبلسانه، فإن لم يســـتطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»[١]. فإذا ما ثبت قطعاً بالنص أو الإجماع أن أمراً ما هو من المنكرات فهو داخل في هذا العموم ولا يضر مخالفة مـــن خالف، وإنمـــا قلنا بترك الإنكار في مســـائل الخلاف الســـائغ لاتفاق الصحابة على عـــدم الإنكار فيها إلا لدرجة التعريف؛ فيبقى ما دل عليه النص أو الإجماع مما ليس من الخلاف السائغ، فيدخل تحت العموم في وجوب الإنكار.

٣ – قال البخاري – رحمـــه الله – في صحيحه: (باب: إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ خلاف الرسول من غير علم، فحكمه مـــردود؛ لقول النبي ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»)[٢].

٤ – وقال أيضاً: (باب: إذا قضى الحاكم بجور أو خلاف أهل العلم فهو رد)، وذكر فيه قصة قتل الأسرى، وقوله ﷺ: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنـــع خالد بن الوليد» مرتين[٣]، وهو صريح في الإنكار على من خالف السنة ولو كان متأولاً مجتهداً.

٥ – عن ســـالم بن عبد الله بن عمـــر عن أبيه – رضي الله عنهما – قال: قال رســـول الله ﷺ: «لا تمنعوا نســـاءكم المســـاجد إذا استأذنكم إليها»، فقال بلال بن عبد الله: والله لنمنعهن. فأقبل عليه عبد الله فســـبَّه ســـبّاً سيئاً ما سمعته ســـبّه مثله قط، وقال أخبرك عن رسول الله ﷺ وتقول أنت: لنمنعهن؟![٤].

قال النووي – رحمـــه الله – : (فيه تعزير المعترض على السنة المعارض لها برأيه).

٦ – عـــن عروة بن الزبير أن عبد الله بن الزبير – رضي الله عنهما – قام بمكة فقال: «إن ناساً أعمى الله قلوبهم كما أعمى أبصارهم يفتون بالمتعة – يُعَرِّض بابن عباس في فتواه في جـــواز نكاح المتعة وكان قد عمي في آخر عمره – فناداه فقـــال: إنك لجلف جاف؛ فلَعَمْري لقد كانت المتعة تُفعَل على عهد إمام المتقين رســـول الله ﷺ، فقال له ابن الزبير: جرب بنفسك، فو الله لئن فعلت لأرجمنك بأحجارك»[٥].

٧ – روى أبـــو عمـــر ابن عبد البر – رحمـــه الله – في (جامع بيان العلم وفضله) بسنده عن ابن عباس – رضي الله عنهمـــا – قال: «تمتع النبـــي ﷺ (يقصد: متعة الحج) فقال عـــروة بن الزبير: نهى أبو بكر، وعمـــر عن المتعة، فقال ابن عباس: أراهم سيهلكون؛ أقول: قال النبي ﷺ، ويقولون: نهى أبو بكر، وعمر».

٨ – روى ابن عبد البر أيضاً بسنده عن صفوان بن مُحرز أنه سأل عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – عن الصلاة في السفر فقال: «صلاة المســـافر ركعتان؛ من خالف السنة كفر»[٦] [٧].

قال ابن القيم – رحمه الله –:

(وقولهم: إن مسائل الخلاف لا إنكار فيها ليس بصحيح؛ فإن الإنكار إمـــا أن يتوجه إلى القول والفتوى أو العمل. أما الأول؛ فإن كان القول يخالف ســـنة أو إجماعاً شائعاً وجب إنكاره اتفاقـــاً، وإن لم يكن كذلك فإن بيان ضعفه ومخالفته للدليـــل إنكار مثله. وأما العمل؛ فإذا كان على خلاف ســـنة أو إجماع وجب إنكاره بحســـب درجات الإنكار. وكيف يقول فقيه: لا إنكار في المســـائل المختلف فيها والفقهاء من سائر الطوائف قد صرحوا بنقض حكم الحاكـــم إذا خالـــف كتاباً أو ســـنة وإن كان قد وافق فيه بعض العلماء، وأما إذا لم يكن في المســـألة ســـنة ولا إجماع وللاجتهاد فيها مساغ لم ننكر على من عمل بها مجتهداً أو مقلداً) انتهى.

هل تحتاج المسألة إلى اجتهاد لنعلم هل هي من الخلاف السائغ أو لا؟

قد يكـــون الأمر مختلفاً فيه بين الفقهاء حســـب ظهور الدليل عندهم وخفائه، فقد ينتشر الأمر في زمان دون زمان،

(١) أخرجه مسلم.
(٢) متفق عليه.
(٣) أخرجه البخاري.
(٤) أخرجه مسلم.

(٥) أخرجه مسلم.
(٦) أخرجه البيهقي، وصححه الألباني في صلاة التراويح.
(٧) والكفر هنا كفر النعمة كما بينه ابن عبد البر في (التمهيد).

أو مكان دون مكان، وهو ما يغير في نوعية الخلاف في ذلك الزمان أو المكان حسب ظهور الدليل وخفائه؛ ولذا وجب الرجوع إلى أهل العلم في المسائل المختلف فيها لنعلم هل هي من الخلاف السائغ أو لا.

الإنكار والعقوبة الدنيوية لا تستلزم التفسيق والتبديع والعقوبة الأخروية للمعيَّن:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: (ومما ينبغي أن يُعلم في هذا الموضع أن الشريعة قد تأمرنا بإقامة الحد على شخص في الدنيا، إما بقتل أو جلد أو غير ذلك، ويكون في الآخرة غير معذب، مثل: قتال البغاة والمتأولين، مع بقائهم على العدالة، ومثل: إقامة الحد على من تاب بعد القدرة عليه توبة صحيحة، فإنا نقيم الحد عليه مع ذلك، كما أقامه النبي ﷺ على ماعز بن مالك وعلى الغامدية - رضي الله عنهما - مع قوله: «لقد تابت توبة لو تابها صاحب مَكْسٍ لغفر له»[1]. ومثل إقامة الحد على من شرب النبيذ المتنازع فيه متأولاً، مع العلم بأنه باقٍ على العدالة، بخلاف من لا تأويل له، فإنه لما شرب الخمر بعض الصحابة واعتقدوا أنها تحل للخاصة تأوَّل قوله: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ٩٣]، اتفق الصحابة مثل عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وغيرهما - رضي الله عنهم - على أنهم إن أقروا بالتحريم جلدوا، وإن أصروا على الاستحلال قتلوا)[2].

وقال أيضاً: (وكذلك يعاقب من دعا إلى بدعة تضر الناس في دينهم، وإن كان قد يكون معذوراً فيها في نفس الأمر؛ لاجتهاد أو تقليد. وكذلك يجوز قتال البغاة وهم الخارجون على الإمام أو غير الإمام بتأويل سائغ مع كونهم عدولاً، ومع كوننا ننفذ أحكام قضائهم ونسوِّغ ما قبضوه من جزية أو خراج أو غير ذلك؛ إذ الصحابة لا خلاف في بقائهم على العدالة، وذلك أن التفسيق انتفى للتأويل السائغ. وأما القتال؛ فليؤدوا ما تركوه من الواجب، وينتهوا عما ارتكبوه من المحرم، وإن كانوا متأولين، وكذلك نقيم الحد على من شرب النبيذ المختلف فيه، وإن كانوا قوماً صالحين.

فتدبَّر كيف عوقب أقوام في الدنيا على ترك واجب، أو فعل محرَّم بَيِّنٍ في الدين أو الدنيا، وإن كانوا معذورين فيه؛ لدفع ضرر فعلهم في الدنيا، كما يقام الحد على من تاب بعد رفعه إلى الإمام وإن كان قد تاب توبة نصوحاً، وكما يغزو هذا البيت جيش من الناس، فبينما هم ببيداء من الأرض إذ خسف بهم وفيهم المكرَه فيحشرون على نيَّاتهم، وكما يقاتل جيوش الكفار وفيهم المكرَه كأهل بدر لما كان فيهم العباس وغيره، وكما لو تترس الكفار بمسلمين ولم يندفع ضرر الكفار إلا بقتالهم، فالعقوبات المشروعة والمقدورة قد تتناول في الدنيا من لا يستحقها في الآخرة، وتكون في حقه من جملة المصائب كما قيل في بعضهم: القاتل مجاهد والمقتول شهيد)[3] اهـ.

مما سبق في كلام شيخ الإسلام يتبين لنا أنه مع وجود التأويل السائغ يبقى المخالف على العدالة، ولا يمنع ذلك من عقوبته الدنيوية. أما مع زوال التأويل السائغ بإقامة الحجة فقد يفسَّق أو يبدَّع أو يكفَّر حسب درجة المخالفة، كما سبق بيانه في أقسام الخلاف غير السائغ وحكم المعيَّن.

واقع المسلمين اليوم إلى أي خلاف ينتمي؟

بالنظر إلى حال المسلمين وواقعهم اليوم نجد الساحة الإسلامية تموج بالاختلافات والمنازعات، وقد اختلفت وجهات النظر تجاه هذه الاختلافات.

ونحن نرى أن هذه الاختلافات منها ما يرجع إلى اختلاف التنوع، وهذا يجب استثماره والتعاون عليه، فبه يحصل التكامل المطلوب في كثير من الواجبات مع تجنب المحاذير المذكورة آنفاً.

ومنها: ما يرجع إلى اختلاف التضاد السائغ، وهذا يجب احتماله وأن يسعنا كما وسع السلف وألا يفسد الأخوة بيننا، ولكن يلزم ضبطه بقواعد أهل السنة، والرجوع إلى أهل العلم في ذلك.

ومنها: ما يرجع إلى اختلاف التضاد غير السائغ، وهذا يجب علاجه بمحاربة البدع والضلالات والأقوال الباطلة، والاجتماع على منهج أهل السنة والجماعة والعمل على نشره بتفاصيله.

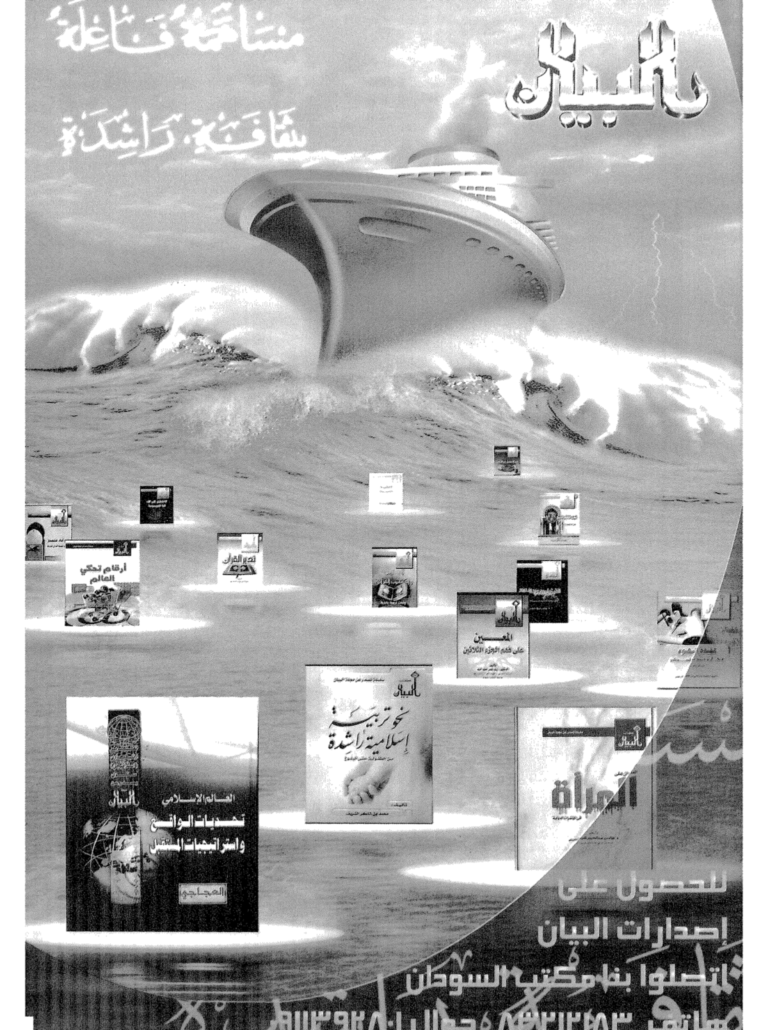
ولا شك أن أفضل المؤهلين لتحقيق هذه المعالجة المطلوبة هم كل من كان ملتزماً بمنهج أهل السنة على طريقة السلف، وهم يحتاجون إلى توحيد جهودهم وتقارب صفوفهم، وبذل الوسع في نشر منهجهم، ومد يد العون إلى إخوانهم من أصحاب المناهج الأخرى؛ لتحقيق هذه المعالجة والسير معاً لنصرة هذا الدين ولإعلاء كلمة الله في أرضه.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) مجموع الفتاوى: ١٢/٤٩٨.

(٣) مجموع الفتاوى: ١٠/٣٧٦.


البيان
منابر فاعلة
ثقافة راشدة
أرقام تحكي العالم
تحدي القرآن
المعين على فهم الجزء الثلاثين
نحو تربية إسلامية راشدة
العالم الإسلامي
تحديات الواقع
واستراتيجيات المستقبل
العجاجي
المرأة
للحصول على
إصدارات البيان
اتصلوا بمكتب السودان

إلى قاصدي مكة

هل يُذهب الشوق المشقة؟

إبراهيم الأزرق

يغفل بعض الناس فيظن أن الحج قد عَسُرَ في هذا العصر لكثرة الزحام، وربما ظن أن المشقة الحاصلة بسببه نازلةٌ من النوازل تقتضي من التيسير والترخيص أموراً لم يقل بها المتقدمون من أهل العلم والبصيرة، ولا عدَّ المحققون منهم القول بها تحقيقاً.

والحق أن المتأمل في واقع الحجيج في عصور الإسلام المختلفة يلمس اليُسْر الذي حدث للناس في هذا الزمن من غير جهة.

فقد كان سفر الحج – قديماً – في أحيانٍ كثيرة طويلاً مخوفاً، تقطع فيه مَهَامهُ وقِفَار، يتعرض الناس فيه إلى خطر قُطَّاع الطريق والأعداء، حتى تَرَكَ قَصْدَ الحرمَيْن نفرٌ من الكبار مع عظيم شوقهم إلى المناسك والمشاعر والمواقيت والمناحر؛ كابن حزم، والقاضي عياض القائل شوقاً إلى ربوع المدينة (طيبة):

لولا الـعَوادِيَ والأعَادِيَ زرتُها
أبداً ولو سَحْباً على الوَجَنَاتِ

وأما الزحام الحاصل اليوم فليس هو بالنازلة العصرية، فقد كانت المشاعر قديماً على معالمها في العهد الأول؛ فلم تكن التوسعات الأولى قريبة في مداها من توسعات هذا العصر، بل كان المطاف محدوداً، وربما دخله السيل – قبل أن يُصرَف مجراه عن البيت – فطاف بعض الناس بالكعبة سُبَّحاً؛ بل حصل هذا حتى بعد تحويل مجرى السيل[1]، وأثبت بعض أهل العلم في مناقب بعضهم أنه طاف حول البيت سباحة، وذكروه عن ابن الزبير رضي الله عنهما[2]، وقالوا: طاف البدر بن جماعة بالبيت سباحة كلما حاذى الحجر غطس لتقبيله، وذكروه عن جماعة من المكيين[3]. وقد رأينا صوراً مأخوذة في أواسط القرن الهجري الماضي والماء قد غمر المسجد وبعض الناس حول الكعبة يسبحون.

وأما المسعى فكالمطاف لا طباق لهما، وذَرْع المسعى في حَدِّ الأزرقي خمسة وثلاثون ذراعاً ونصف الذراع[4]، وفي حدِّ إبراهيم الحربي – كما في منسكه – دون ذلك قليلاً[5]، ومع ذلك تكتنفه البيوتات وربما أخذ بعض البناء من جنباته التي

(١) أعني: بعد تحويل المهدي. وانظر: إنباء الغمر بأنباء العمر، لابن حجر، فقد ذكره في حوادث سنة سبع وثلاثين وثمانمائة: ٣/٥١٤، وكذلك بعد التحويل من أعلى مكة في القرن الماضي.

(٢) عقد الفاكهي في أخبار مكة عنواناً: «ذكر الطواف بالبيت سباحة في السيل العظيم ومن فعله»: ١/٢٥٠.

(٣) حكاه مقرراً في كشف الخفاء: ٢/١٥٢٢.

(٤) ينظر: تاريخ مكة، له: ٢/٩٥.

(٥) ينظر: منسكه المطبوع بعنوان: كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، بتحقيق: حمد الجاسر، ص٥٠٢، قال: «وذَرْع المسعى من المسجد الحرام إلى دار العباس اثنان وثلاثون ذراعاً».

تلي الكعبة، وقد نقل هذا بعض من اعتنى بتأريخ المسجد الحرام، وربما أخذ من عرض المسعى الباعةُ والمارَّةُ، بل حدثنا بعض مشايخنا الذين شهدوا تلك المعالم قبل ما يزيد على نصف قرن بأن بَسْطَ التجار سلعهم في المسعى ولا سيما يوم العيد قد كان أمراً مشهوداً مشهوراً. وأما عرفة فقد كانت عراءً يتحاشى الناس كثبان رملها، ويرغبون في موطن الصخرات أسفل الجبل ويتدافعون عندها، حتى ضَرَب بالازدحام فيها المثالَ بعضُ الشعراء، بل كان التدافع على جبلها عادةً قديمة قبل الإسلام كما في قول نابغة بني ذبيان:

بمُصْطَحِباتٍ من لَصافٍ وثَبْرةٍ
يَزُرْنَ إلالاً سَيْرُهنَّ التَّدافُعُ

وإلالٌ: ذكر السهيلي وغيره أنه جبلُ عرفة، قال: سُمِّي بذلك لأن الحجيج إذا رأوه ألوا في السير؛ أي: اجتهدوا فيه ليدركوا الموقف[1].

وقد جاء ذكر الوقوف عند إلالٍ في شعر الإسلاميين المخضرمين والمتأخرين، ولا يزال التدافع عنده حاصلاً حتى عصرنا هذا، فالإل هو ما يعرف اليوم بجبل الرحمة كما ذكر شيخ الإسلام في (اقتضاء الصراط المستقيم)[2] وكثير من الفقهاء[3].

فلا عجب أن تقرأ في كثير من تراجم بعض الأعلام قولهم: مات في الحج، أو مات حاجاً. مع أنهم أعلام هم مَحَطُّ رعايةٍ ومَحَلُّ عناية. أمّا عموم الناس فما أكثرَ حوادثهم! فتارةً تقرأ في كتب التاريخ: مات ستة آلاف من حجاج كذا بسبب قلة الميرة وحجز مناهل الماء[4]، وتارةً تقرأ خبر مقتل كل حجاج بعض الأصقاع، كما حصل لحجاج أصبهان في بعض الأعوام وكانوا زهاء عشرين ألفاً[5]، وفي حوادث بعض الأعوام يقول ابن كثير - رحمه الله -: «ولم يقف بعرفة عامئذ سواه ومن معه من الحراميَّة، لا تقبَّل الله منهم صرفاً ولا عدلاً»[6]! وتارةً تقرأ عن الموت بسبب التدافع عند باب كذا من المسجد، قال ابن حجر في حوادث سنة أربع وثمانين وسبعمائة من إنباء الغُمْر: «وفيها كان الحَاجُّ بمكة كثيراً؛ بحيث مات من الزحام بباب السلام أربعون نفساً، أخبر الشيخ ناصر الدين بن عشائر أنه شاهد منهم سبعة عشر نفساً موتى بعد أن ارتفع الزحام، وأن شيوخ مكة ذكروا أنهم لم يروا الحاج أكثر منهم في تلك السنة»[7]. وذكر ابن الضياء في تاريخ مكة أنه في سنة إحدى وثمانين وخمسمائة مات عند الكعبة أربعة وثلاثون نفراً. وتارة يقول المؤرخ: وفيها مات بالمسعى جماعة من الزحام؛ لكثرة الخلق الذين حجُّوا في هذه السنة من العراق والشام[8].

والأخبار كثيرة شاهدة على أن الحج لم يكن بالأمر اليسير، وأن توسعات الحرم وانبساط الأمن ومخترعات العصر؛ قد سببت كثيراً من التيسير، وأن الزحام ليس بالشيء الجديد، أو النازلة التي ما عرفها الأسلاف، كيف وقد قيل - كما ذكر صاحب القاموس وغيره -: إنما سميت مكة بكَّة لازدحام الناس بها؟! بل لازدحام الناس والدواب والأنعام وأدائهم المناسك بها في العهد الأول، وهذا ما خفَّ كثيراً في هذه الأزمان، فلا أحد يرمي من على بعير أو يطوف به.

ومع ذلك فقد فَقِهت تلك الأجيال أن الحج تكليف وجهاد لا ينفك عن مشقة مقصودة مُطاقة، أو عارضة فوق الطاقة، وهذه هي التي ينبغي أن تزال إن قدر عليها بغير تحريف التكليف، أما المشقة المطاقة فعليها مدار التكليف، وبها يتحقق الابتلاء الذي من أجله خُلقت الخليقة: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [الملك: ٢]، وبها يظهر بعض كمال عدل الله الذي خلق الخلائق وهو أعلم بما كانوا عاملين، ولكنه أناط جزاءهم بالتكليف، بعد أن خلقهم في كَبَد.

وقد أدرك من أدرك من العامة في الغابر والحاضر هذه المعاني، فكانوا يحتسبون المشقة الملفية في الحج، بل كانوا يستعذبون تلك الرحلة إلى البقاع المباركة، ويفرحون بالتنقلات بين المشاعر لإقامة الشعائر؛ أُنساً بما يجدونه في أنفسهم من آثار تلك المنازل.

وجدير بمواطنَ عُمرت بالوحي والتنزيل، وتردَّد بها جبرائيل وميكائيل، وعرجت منها الملائكة والروح، وضجت أرجاؤها بالتقديس والتسبيح، واشتملت على مشاهد

(١) ينظر: الروض الانف، فصل في شرح لامية أبي طالب: ١/ ١٣٧، وقد ذكر صاحب اللسان أن اسم الجبل إلالاً وألالاً؛ بالفتح والكسر على وزن بِلال وجَلال، والمشهور الكسر كما ذكر النووي وغيره

(٢) ص٤٢٨ من طبعة الفقي، ووقع بدلاً من إلال: الأول، ولعله خطأ مطبعي أو تصحيف.

(٣) ينظر مثلاً: المجموع للنووي: ٨/ ١٣٢، والفروع لابن مفلح: ٣/ ٥٠٧، تبيين الحقائق للزيلعي: ٢/ ٢٤، ومواهب الجليل للحطاب: ٣/ ٩٢.

(٤) تنظر: البداية والنهاية: ١٣/ ٤٧؛ حوادث (٦٠٤)، وانظر: ١١/ ٣٤٧؛ حوادث (٤٠٣).

(٥) تنظر: البداية والنهاية: ١١/ ١٠١؛ حوادث (٢٩٤).

(٦) البداية والنهاية ١١/ ١٠؛ سنة (٢٥١).

(٧) إنباء الغمر بأنباء العمر: ١/ ٢٦٠-٢٦١.

(٨) ينظر: إتحاف الورى بأخبار أم القرى: ٣/ ٣٧، سنة ٦١٩، لابن فهد، وقد ساق في حوادث السنين من هذا أضرباً وأشكالاً.



الفضائل والخيرات، ومعاهد البراهين والمعجزات، ومناسك الدين، ومشاعر المسـلمين، ومواقف سيد المرسلين، ومتبوأ خاتم النبيـين، حيث انفجر معين الرسـالة وفاض عبابها، أرض المعجزات المشتهرة منذ زمن الخليل، ومجال الرسالات السـماوية من عهد آدم، قصدها الأنبياء والمرسلون، وأمَّها الشهداء والصِّدِّيقون، وحجَّ إليها الأولياء والصالحون، وضَجَّ بالدعاء فيها إبراهيم، ورتع بين جنباتها إسـماعيل، وأحبها من نشـأ فيها ﷺ؛ جدير بتلك المواطن أن تشـتاق النفوس إليها، وتبـذل نفائس الأموال راضية بغُنْـم الوصول إليها، وحريٌّ أن تُعَظَّم حرماتها، وتُحترم عَرَصاتها. وكيفَ لا تأنس النفوس بها وتطمئن فيها، وتسـتعذب ما تلقاه في أَمِّها وإن بعدت الشُّقَّة، وتضاعفت المشقة، وشتان.. شتان ما بين الغُنْم والغُرْم!

ولئن تلـذَّذ المُفَرِّطـون بالمعصية، ونشـطوا للرقص والطـرب، فتجد أحدهم في حركة دؤوبـة يصل ليله بنهاره لا يـكلُّ ولا يملُّ؛ فإن قلوب المحبين لرب العالمين تجد الأنس واللذة في الطاعة، وتستعذب المشقة العارضة أثناء العبادة.

بل ليـس أثر تلـك المشـاعـر ومكـانة ذلـك النسـك مما اختصَّت به نفوس أهل الصلاح والطاعة، بل هو معنى تشهده في أحـوال العـامة؛ فكـم رأيـت نفساً عند بيت الله المعظـم ربما تلبَّس صاحبها بشـيء محرَّم؛ تشق طريقها بعد رحلـة مضنيـة بعـزم يحـدوه الشـوق نحـو الكعبـة المشـرفة، يركب أحدُهم قَحمة الطريـق، ويصابر اللَّأْواء والضيق؛ شـوقاً إلى البيت العتيـق، فإذا رأى البيـت نَسِي بُعدَ الشُّـقَّة وما لقيه من عَنَت ومشقة، واستقل ما يستقبله، بل ربما فاضت دمعته، وظهـرت عبـرته، وشهـدت فعـاله وكلماته على استجابة الله لخليله دعوته: ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْـوِي إِلَيْهِمْ ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، قـال ابـن كثيـر: (فليـس أحد من أهل الإسـلام إلا وهـو يَحِنُّ إلى رؤية الكعبة والطواف، فالناس يقصدونها من سـائر الجهـات والأقطار)، ويتوقون إلى أداء المناسـك علـى اختـلاف أصقاعهم وأمصارهم، فمن قائل:

تذكرت أيـام الحجيج فأسْـبَلَتْ
جُفُوني دماءً واسـتجد بِيَ الوجدُ
وأيامنا بالمَشْـعَرَيْنِ التي مضتْ
وبالخَيْفِ إذ حادي الرَّكابِ بنا يحدو

فهذا يقول وذاك يخمِّس قول الآخر:

سقى الله أيام [illegible]
[illegible] أو تعود [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
فلو شُريت لم يغلُ في السوقِ سعرُها
ولو بيع بالعمرِ الطويل قصيرُها

ومن تشطير غيره قوله:

حالوا [illegible] عنها يُحمدُ [illegible]
ترحَّلـوا وأقامتْ عنـدي الفِكَرُ
وأيُّ قلب على التفريق يصطبرُ
زاروا وطافوا وحجوا البيت واعتمروا
هـذا وربيَ فخرٌ مـا له درك

إلى آخر ما قال.

وأحسن غيره إذ قال:

أيُتـركُ ربعُ للرسـالة سبْسَبُ
تجيءُ به هُـوجُ الريـاح وتذهبُ
ولا تتهْمـي فيـه العيونُ وتسْـكُبُ
وتَظْلـعُ أعناقُ الذنـوبِ وتُنهبُ

ومن المشـهور قول البُرْعي اليماني فـي قصيدته التي منها:

يـا راحلـينَ إلى منىً بغيابي
هيَّجتُـمُ يـوم الرحيـل فؤادي
حرمتـمُ جفنـي المنـام لبُعْدكم
يـا سـاكنين المنحنـى والوادي
فـإذا وصلتـم سـالمين فبلِّغوا
منّي السـلام أُهيـلَ ذاك الوادي
وتذكـروا عنـد الطـواف مُتيَّما
صَبّـاً فنـي بالشـوق والإبعادِ
لي من ربـا أطلال مكّـة مرغبٌ
فعسـى الإلهُ يجـودُ لي بمرادي
ويلوحُ لـي ما بـين زمـزم والصفا
عند المقام سـمعتُ صوت منادي
ويقول لـي: يا نائما جُدَّ السُّـرى
عرفـاتُ تجلـو كلَّ قلـبٍ صادي
تالله! مـا أحلى المبيـتَ على منى
في يـوم عيدٍ أشـرف الأعيادِ

إلى آخر ما قال.

ومما ذاع قول الزمخشري قبيل رحلة الحج والمجاورة:

قامت لتمنعني المسيرَ تُماضرُ
أنَّى لها وغِرارُ عزمي باترُ؟

شامَت عَقيقَةَ عزمتي فحنينها
رَعْدٌ وعيناها السحابُ الماطرُ [1]

جِنِّي رويدك لن يَرِقَّ لظبية
وبُغامها ليثُ العرينِ الزائرُ

لو أشبهت عَبَراتُ عينك لُجَّةً
وتَعَرَّضَت دوني فإني عابرُ

سيري تُماضرُ حيث شئت وحدِّثي
إني إلى بطحاءِ مكةَ سائرُ

حتى أُنيخ وبين أطْمَاري فتىً
للكعبة البيتِ الحرام مجاورُ

يا من يسافرُ في البلادِ مُنَقِّباً
إني إلى البلدِ الحرام مسافرُ

سأروح بين وفود مكة وافداً
حتى إذا صدروا فما أنا صادرُ

إلى آخر ذكره المناسك والمشاعر.

وتأمَّل حال أحدهم وقد عاش في أواخر القرن الثالث وأوائل الرابع، قال يصف أحوالهم أثناء رحلة حج مضنية:

أخفافُهُنَّ من حَفاً ومن وَجى
مَرثومةٌ تَخضبُ مُبيَضَّ الحَصى [2]

يَحمِلنَ كُلَّ شاحِبٍ مُحقَوقِفٍ
مِن طولِ تدآبِ الغُدُوِّ وَالسُّرى

بَرٍّ بَرى طولُ الطَّوى جُثمانَهُ
فَهوَ كَقِدحِ النَّبعِ مَحنِيُّ القَرا [3]

بعدت عليهم الشُّقَّة، وتجشموا المشقة فجاؤوا من كل فجٍّ عميق، قل لي بربك من أجل ماذا؟ قال:

يَنوي التي فَضَّلَها ربُّ العُلى
لَمّا دَحا تُربَتَها عَلى البنى

قصدٌ شريفٌ استقلوا فيه ما صنعوا، فجاشت نفوسهم بمشاعرها، وفاضت عيونهم بمدامعها:

حتى إذا قابَلَها استَعبَرَ لا
يَملِكُ دَمعَ العَينِ مِن حَيثُ جَرى

ولعلك تعجب إن علمت أن قائلَ هذه الأبيات، الواصفَ لتلك المشاعر والأحاسيس؛ ليس من أفراد الزُّهاد، بل لا يعد في العُبَّاد، بل هو رجل موصوف بالإسراف والتقصير!

ومن الذائع الشهير قول شاعر الغزل عمر بن أبي ربيعة:

باللهِ قولي له في غيرِ مَعْتَبَةٍ
ماذا أردت بطولِ المُكْثِ في اليمنِ؟

إن كنتَ حاولتَ دنيا أو ظَفِرْتَ بها
فما أخذتَ بتركِ الحَجِّ من ثمنِ!

وإن جاء هذا في صدد النسيب فإن مضمونه يشعر بمكانة البيت العتيق عند العامة.

ولهذا يُقال: إن ابن جريج قال: ما ظننت أن الله - عز وجل - ينفع أحداً بشعر عمرَ بنِ أبي ربيعة، حتى سمعت وأنا باليمن منشداً ينشد قولَه - وذكر البيتين المتقدمين - قال: فحركني ذلك على الرجوع إلى مكة، فخرجت مع الحاج وحججت[4].

بل تأمَّل قول أحدهم وهو موصوف بفسق يجاهر فيقول:

إذا صَلَّيتُ خمساً كلَّ يوم
فإن اللهَ يغفر لي فسوقي

ولم أشرك برب الناس شيئاً
فقد أمسكت بالدِّين الوثيقِ

وجاهدت العدو ونلت مالاً
يُبَلِّغُني إلى البيت العتيقِ

فهذا الدين ليس به خفاءٌ
دَعُوني من بُنَيَّات الطريقِ

فانظر إلى هذا مع حاله يرى الجهاد لأجل تحصيل ما يبلغه البيتَ العتيقَ ديناً حقاً عليه.

وإذا علمت هذا عرفت لِمَ طُوِيَتْ عن القوم المشقة، وإذا كانت هذه حال من ذكرنا من المقصِّرين؛ فكيف بحال أهل الإيمان واليقين، فلا عجب أن قَلَّت المسائل التي توسَّع فيها وترخَّص من نبتوا في دبر الأيام من متفقهة هذا الزمان بدعوى التيسير وَفْقاً للمشقة النازلة في هذا العصر القاسي بزعمهم!

(1) كان معناه: أغمدت سيف عزيمتي، فشام سيفه تأتي بمعنى: أغمده واستله، والعقائق: ما يبقى في السحاب من شعاع وبه تشبه السيوف.

(2) يصف تشقق أخفاف الرواحل حتى سال الدم فصبغ الأرض.

(3) القدح: السهم لا نصل له ولا أصل، والنبع: شجر تصنع منه السهام، والقرا: الظهر أو وسطه، ويروى القوى: أي: الظهر.

(4) الأغاني: ١/ ١٢٠.



دروس وعبر من قصة وفد مضر

طه بن حسين بافضل
bafdel70@hotmail.com

القائـــد المحنَّك هو من يصنع من الحـــدث موقفاً، ومن الموقـــف عبرة، ومن العبرة تغييراً شـــاملاً يمحو من النفس المؤمنة أركان العجز والكسل؛ ليرتفع بها من حضيض الأنانية المفرطة إلى ســـموِّ القيم النبيلة والمبادئ الســـامية؛ لتصل بعطائها وبذلها وســـعيها يكتنفهـــا التوفيق الإلهي في بدئها وانتهائها؛ إلـــى الدرجة المطمئنة لتعود إلى بارئها وهو راضٍ عنها ومبشرها برضوانه الخالد لها. يتجلى لنا هذا واضحاً في حدث من أحداث السيرة النبوية التي مرت بالنبي ﷺ مع أصحابه نقف معه لنستلهم منه دروساً وعبراً لعلها تحدث لنا في قلوبنا نوراً وفي حياتنا ذكراً.

فعن أبـــي عمـــرو جرير بـــن عـــبد الله - رضي الله عنه - قال: «كنا في صدر النهار عند رسول الله ﷺ، فجاءه قوم عُراة مجتابي النِّمار أو العَبَاءِ متقلدي السيوف، عامتهم من مضر بل كلهم من مضر، فتمعَّر وجه رسول الله ﷺ لِـمَا رأى بهم من تلك الفاقة، فدخـــل ثم خرج، فأمر بلالاً فأذَّن وأقـــام ثم صلى ثم خطب، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ...﴾ [النساء: ١] والآية الأخرى التي في آخر الحشـــر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّـهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨]. تصـــدَّق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بُرِّه، من صاع تمره، حتى قال: ولو بشقِّ تمرة، فجـــاء رجل من الأنصار بصُرَّة كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت. ثـــم تتابع الناس حتى رأيت كَوْمَيْنِ من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رســـول الله ﷺ يتهلَّل كأنـــه مُذْهَبَةٌ، فقال رســـول الله ﷺ: من سنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيءٌ، ومن ســـنَّ في الإسلام سنة ســـيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيءٌ»(١).

الإحساس بمعاناة الناس:

لم يعش رســـول الله ﷺ بعيداً عـــن واقعـــه أو بـــيئته

(١) أخرجه أحمد (١٩٢٨٨)، ومسلم (١٠١٧)، وابن ماجه (٢٠٣)، والنَّسائي (٢٥٥٤).

أو أصحابه، ولم يكن ينأى يوماً ما بنفسه ويعتزل الناس في بيته ومع أزواجه، ويغلق دونهم أبوابه، ويضع عليها الحجَّاب فلا يصل إليه أحد إلا بشقِّ الأنفس، كلَّا؛ لقد كان رسول الله ﷺ يعيش معاناة الناس كأنها معاناته هو، بل ينهى من ولَّاهم الله أمر المسلمين أن يغلقوا أبوابهم دون حاجات الناس، ويحذِّر من مغبَّة فعل ذلك؛ فقد قال عمرو ابن مرة الجهني - رضي الله عنه - لمعاوية - رضي الله عنه -: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من إمام يغلق بابه دون ذوي الحاجة والخَلَّة والمسكنة إلا أغلق الله أبواب السماء دون خَلَّته وحاجته ومسكنته»[1].

لقد كان ﷺ يعيش بين الناس ومعهم يتلمَّس أحوالهم، ويتحسَّس أخبارهم حتى قبل البعثة؛ فها هي أم المؤمنين خديجة - رضي الله عنها - تقول له: «والله لا يخزيك الله أبداً: إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتُكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق»[2] هذا هو واقعه، وتلك هي حياته، وهكذا كانت علاقته بالناس قبل أن يكون نبياً مرسلاً.

وفي ذلك الحديث نجده ﷺ يتأثر تأثراً إيجابياً وفاعلاً بما رآه من حال القوم الذين وفدوا على المدينة واستقروا بمسجده حيث لم يأبه بهم أحد وهم على حالة وصفها الصحابي بقوله: «قوم عراة مجتابي النمار أو العباء»، فتغيرت ملامح وجهه ﷺ من التبسط والتبسم إلى التمعُّر، بالإضافة إلى سلسلة من الأعمال الإيجابية التي هي بمنزلة مساهمة من القائد والحاكم لتغيير هذا الواقع.

فرق بين تأثر سلبي لا ينتج إلا الجمود والسكون والتفرج على الواقع دون مشاركة في تغييره وتحسين وضعه بل ربما يكون سبباً في استمراره وتجذُّره في المجتمع من خلال الانتقادات الهدَّامة ونَكْءِ الجراح والظهور بمظهر المتميز الخالي من العيوب والنواقص، وبين تأثر إيجابي فاعل ينطلق من لحظة التفرُّج والنظر إلى ساعة التطبيق في ميدان العمل.

لقد كان تمعّر وجه النبي ﷺ حزناً واضحاً في كثير من المواقف التي يرى فيها منظراً أساءه يحتاج منه إلى إغاثة ولم يستطع؛ لقلة ما في اليد؛ فعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: «نزل بنا ضيف بدوي فجلس رسول الله ﷺ أمام بيوته فجعل يسأله عن الناس كيف فرحهم بالإسلام؟ وكيف حدبهم على الصلاة؟ فما زال يخبره من ذلك بالذي يسره حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ نَضِراً؛ فلما انتصف النهار وحان أكل الطعام دعاني مستخفياً لا يألو: أن ائتِ عائشة - رضي الله عنها - فأخبرها أن لرسول الله ﷺ ضيفاً فقالت: والذي بعثه بالهدى ودين الحق ما أصبح في يدي شيء يأكله أحد من الناس، فردَّني إلى نسائه كلهن يعتذرن بما اعتذرت به عائشة - رضي الله عنها - فرأيت لون رسول الله ﷺ خسف»[3].

إنها رسالة نبوية إلى أولئك الذين أنعم الله عليهم بالأموال أن التفتوا إلى حال أمتكم المنكوبة التفاتة صدق؛ فهي أحوج ما تكون اليوم لمن يتأثر لحالها فيتحرك ليشبع جائعها ويسقي ظمآنها ويكسو عاريها.

القائد يتحمَّل المسؤولية:

قول جرير - رضي الله عنه - حكاية عن النبي ﷺ: «فدخل ثم خرج» ينبئنا عن عظم المسؤولية التي كان يتحملها رسول الله ﷺ، كيف لا وهو القائل: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذِ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»[4].

لم يكن ﷺ متكئاً على أريكته لا يبالي بما يلمُّ بالناس من أحداث وأوضاع هم أحوج ما يكونون إلى معونته ونجدته؛ كما هي حال كثير من القادة اليوم الذين استمرؤوا الأوضاع المتردية التي تمر بها شعوبهم من فقر وبطالة وجرائم وضياع للحقوق، وليتهم يتحملون المسؤولية في دفعها والأخذ على أيدي الظلمة والمتنفذين والمفسدين؛ حتى لو ذهبت مصالحهم وراحتهم في سبيل تحقيق ذلك. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (فإذا اجتهد الراعي في إصلاح دينهم ودنياهم بحسب الإمكان كان من أفضل أهل زمانه وكان من أفضل المجاهدين في سبيل الله)[5]. وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «يومٌ من إمام عادل أفضل

(1) أخرجه أحمد (١٨١٩٦)، والترمذي (١٣٣٢)، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (٢ / ٢٠٥).
(2) البخاري، الفتح (٣).

(3) قال الألباني في السلسلة الصحيحة (٤ / ٦٢٥): إسناده صحيح ورجاله كلهم ثقات.
(4) أخرجه أحمد (٧٦١٥)، والبُخاري (٦١٣٦)، ومسلم (٨٢).
(5) مجموع الفتاوى (٢٨ / ٢٦٢).



من عبادة ستين سنة، وحدٌّ يُقام في الأرض بحقه أزكى فيها من مطر أربعين عاماً»[1]، وعن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ابغوني ضعفاءكم؛ فإنكم إنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم»[2].

ولكن السؤال: أين دخل النبيُّ ﷺ؟ ومن أين خرج؟ لقد دخل رسول الله ﷺ إلى حجراته الملصقة بالمسجد لعله يجد شيئاً يسد به جوعة هؤلاء المحتاجين ولو كان قليلاً.

الأسوة الحسنة:

دخول النبي ﷺ حجراته ليأتي للقوم بطعام أو شراب وخروجه بدون شيء يوضح لنا درساً مهماً من دروس القدوة والأسوة، إذ كان ﷺ بإمكانه أن يدعو الناس مباشرة إلى الصلاة ويخطب بهم ويحثهم على الصدقة وينتهي من هذا الأمر، ولكنه بدأ بنفسه لعله يقوم به دون الحاجة إلى إشراك الناس وتحميلهم أمراً ربما لا يطيقونه ولا يقدرون عليه.

إن قيام القائد بالمبادرة ابتداء يُعدُّ دافعاً مهماً لأتباعه للاقتداء والتأسِّي دون حاجة إلى الوعظ والحث أو التحريض على الفعل صالحاً كان أو سيئاً؛ فماذا لو دخل النبي ﷺ بيته وخرج بشيء من طعام أو شراب والصحابة ينظرون هل كانوا يحتاجون إلى وقوفه ﷺ هذا الموقف الوعظي وإلى التمعُّر والغضب وهم قد تلقوا منه الأحاديث الجمَّة في الحثِّ على الصدقة، ورأوا منه المواقف المتكررة الدالة على كرمه وجوده ﷺ؟ فلما لم يجد رسول الله ﷺ شيئاً في بيته لم يكن منه إلا التذكير؛ والذكرى تنفع المؤمنين.

القائد لم يقدم شيئاً:

دخل ﷺ حجراته ولم يأتِ بشيء؛ سبحان الله! وهو القائد الذي فتح مكة وجاءته الأموال وقسَّم الغنائم بين الناس، إنه في آخر مشواره.

إنه القائد الذي لا يملك شيئاً! لم يقدم شيئاً، نعم! فهو لا يملكه؛ لأنه لو كان يملكه لم يكن ليبقى عنده؛ فعن عقبة - رضي الله عنه - قال: صليت وراء النبي ﷺ بالمدينة العصر، فسلَّم ثم قام مسرعاً، فتخطَّى رقاب الناس إلى بعض حُجر نسائه، ففزع الناس من سرعته، فخرج عليهم، فرأى أنهم عجبوا من سرعته، فقال: «ذكرت شيئاً من تِبْرٍ عندنا، فكرهت أن يحبسني، فأمرت بقسمته»[3].

لم يقدم ﷺ شيئاً، وكيف يقدم وبيوته لا يوقد فيها نار أشهراً؟! فعن عروة عن عائشة - رضي الله عنها - أنها كانت تقول: «والله يا ابن أختي! إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقد في أبيات رسول الله ﷺ نار. قال: قلت: يا خالة! فما كان يعيشكم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء، إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار، وكانت لهم منائح، فكانوا يرسلون إلى رسول الله ﷺ من ألبانها، فيسقينا»[4].

إن من عاش على شظف العيش وقلة ذات اليد ومرارة الجوع وقلة الشبع جدير به أن يتصور آلام الآخرين ومعاناتهم ويقدرها قدرها ويعطيها حقها من الاهتمام والمتابعة لا سيما وهو يتمتع بقوة الإيمان ورسوخ المبادئ وأصالة القيم، أما من عاش على التنعم والرفاهية فأنَّى له أن يحسَّ بمعاناة الناس وجراحاتهم، وإن أحسَّ بها فإنما هو كإحساسه بذباب وقع على أنفه فأزاحه بشيء مما لديه وهو لا يشعر، وسبق درهم مائة ألف درهم.

لاجئون في مدينة الرسول ﷺ:

لقد وصف جرير - رضي الله عنه - هؤلاء القوم بأنهم «قوم عراة مجتابي النِّمَار أو العباءِ، متقلدي السيوف، عامتهم من مضر، بل كلهم من مضر» هذا الوصف يوحي لنا بأنهم كانوا لاجئين إلى مدينة الرسول الكريم ﷺ؛ فالقوم عراة بمعنى أنهم كانوا متَّزرين فحسب، وربما كانت الأُزُر ممزقة، فكأنهم من فرط ضعفها وهوانها جعلتهم كالعراة. و«النِّمار» بكسر النون جمع نَمِرة بفتحها، وهي ثياب صوف فيها تنمير، و «العَباء» بالمدِّ وبفتح العين جمع عباءة وعباية لغتان. وقوله: «مجتابي النمار» أي: خرقوها وقوَّروا وَسْطها[5]. وهذه الصورة صورة الإنسان الفقير فقراً مدقعاً؛ فالذي لم يجد ما يلبسه أحرى أن لا يجد ما يشبعه.

ومن هنا تتجلى لنا عدد من الدروس في هذا المقام:

منها: الإسلام يقف موقفاً إيجابياً تجاه من لجأ إليه أو استجار به؛ سواء كان هذا اللاجئ يريد سماع كلام الله أو يريد الأمان أو حتى يريد الطعام والشراب والكسوة؛

(1) قال العراقي في تخريج الإحياء (1 / 155): «رواه الطبراني في الكبير والأوسط وإسناده حسن»، وضعف إسناده الألباني كما في الضعيفة (2/416).

(2) أخرجه أحمد (22074)، وأبو داود (2594)، والترمذي (1702)، والنسائي (6/45).

(3) أخرجه أحمد (16251)، والبخاري (851)، والنسائي (1365).

(4) أخرجه البخاري (2567)، ومسلم (2972).

(5) النووي شرح مسلم (4/112-113).

فها هو ﷺ لم يسأل عن هؤلاء الأعراب ولا عن ملتهم أو التزامهم أو تفريطهم، ولكنه بادر لإعانتهم وسد جوعتهم وكسوتهم؛ عملاً بقوله - تعالى -: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة: ٦]، هذا في حق المشرك المستجير، فكيف بغيره؟ ومفهوم الاستجارة يتسع لأن يدخل فيه الضيافة والإكرام؛ إذ إن من غير المعقول أن يجلس هذا اللاجئ أياماً دون طعام أو شراب.

ومنها: منهج الإسلام «منهج الهداية لا منهج الإبادة، وهو حريص على كل قلب بشري أن يهتدي وأن يثوب»[1]. ولذا فقد كان رسول الله ﷺ يعطي الأمان لمن جاءه، مسترشداً أو في رسالة، كما جاءه يوم الحديبية جماعة من رسل قريش منهم: عروة بن مسعود، ومِكْرَز بن حفص، وسهيل بن عمرو، وغيرهم، واحداً بعد واحد، يترددون في القضية بينه وبين المشركين، فرأوا من إعظام المسلمين رسول الله ﷺ ما بهرهم وما لم يشاهدوه عند ملك ولا قيصر، فرجعوا إلى قومهم فأخبروهم بذلك، وكان ذلك وأمثاله من أكبر أسباب هداية أكثرهم[2].

ومنها: رحمة الإسلام باللاجئين واهتمامه بهم والقيام بحقهم وعدم تركهم يتضوّعون جوعاً يلتحفون السماء ويفترشون الطرقات، بل يموت بعضهم مرضاً وقهراً، كما نرى في واقعنا المعاصر؛ فأهل الإسلام يهبُّون لإغاثة المحتاج وهداية الضال وإكساب المعدوم وفعل كل وجوه الخير للناس، هكذا وجّههم ربهم - تعالى - فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج: ٧٧]، وربَّاهم على ذلك نبي الرحمة ﷺ قولاً وعملاً؛ كما في هذه القصة المباركة.

الناس قدرات وطاقات:

لقد عدَّد النبي ﷺ أنواعاً من المال:

فبدأ بالدينار والدرهم، وذلك كما قال بعضهم: «إنهما الدنيا كلها؛ إذ يتوصل بهما إلى جميع أصنافها» بل يصل بالإنسان لشدة حبه لهما إلى عبوديتهما.

ثم ذكر الثياب، وهي ألصق ما يكون بالإنسان؛ فبها يستر العورة ويحسن الصورة، وهؤلاء القوم كانوا أحوج إليها من غيرها فكانت بدرجة كبيرة من الأهمية.

والبُر والتمر، هما من قوت أهل المدينة، وقد شرع الله - تبارك وتعالى - أن يتصدقوا منهما لزكواتهم وكَفَّاراتهم، وهما مؤونة أخرى تسد جوعة هؤلاء القوم.

ثم قال الصحابي: حتى قال: «ولو بشق تمرة»، و (حتى) من مدلولاتها عند أهل اللغة أنها للغاية، بمعنى: أنه ﷺ في مسيرة وعظه لهم ذكر أصنافاً من الطعام والشراب حضاً وتحفيزاً للصحابة أن يسارعوا للتصدق بها على هؤلاء المحتاجين، إلى أن وصل إلى أقل الأشياء وأوفرها في كل بيت.

وهذا الجزء من الحديث تضمَّن دلالات مهمة يحسن الوقوف عليها:

منها: الناس تتباين درجات عطائهم بحسب تباين المقاصد والأحوال والأعمال، وكلٌّ بحسب طاقته وجهده وقدرته؛ فالذي لا يملك الدينار أو الدرهم قد يملك الثياب، أو يملك الطعام أو الشراب، والذي لا يملك ما سبق فلا أقل أن يملك التمر و«بيت ليس فيه تمر كأن ليس فيه طعام»[3]. إنه ﷺ يفتح أبواب الخير على مصاريعها ليدخل المؤمنون من أيها شاؤوا وحسب طاقتهم ووسعهم.

ومنها: أن لا يحتقر المسلم صدقته ولو قلَّت، بل يجب عليه أن يتصدق بما تيسر قلَّ أو كثر، وهذا من المعاني المهمة التي يؤكد عليها النبي ﷺ مراراً وتكراراً ويحرص على تثبيتها في قلوب أزواجه وأصحابه - رضي الله عنهم - فها هو يقول لأم المؤمنين عائشة الصديقة - رضي الله عنها -: «يا عائشة! استتري من النار ولو بشق تمرة؛ فإنها تسد من الجائع مسدها من الشبعان»[4].

ولأهمية هذه المسألة بوَّب البخاري - رحمه الله - لها باباً في صحيحه، فقال: باب: اتقوا النار ولو بشق تمرة. قال الحافظ - رحمه الله -: وفي الطبراني من حديث فضالة ابن عبيد مرفوعاً: «اجعلوا بينكم وبين النار حجاباً ولو بشق تمرة»[5]، قال الحافظ: وفي الحديث الحث على الصدقة بما قلَّ وما جلَّ، وأن لا يحتقر ما يتصدق به، وأن اليسير من

(١) في ظلال القرآن (٣/١٦٠٢).
(٢) تفسير ابن كثير (٧/١٥١).
(٣) أخرجه أحمد (٢٥٢٤٧)، ومسلم (٢٠٤٦).
(٤) أخرجه أحمد (٢٥٠٠٦)، وحسنه الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب (٨٦٥).
(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (١٥١٧٣).

الصدقة يستر المتصدق من النار(١).

ومنها: لقد قام النبي ﷺ بالمفهوم الإداري الخيري مقام المسوِّق لمشروع مهم من مشاريع الآخرة ألا وهو التصدق على المحتاجين، وسطر من خلال ذلك آلية حكيمة من آليات التسويق الخيري، ومن ذلك: أنه ينبغي لمن أراد أن يسلك هذا السبيل التدرج في طلب الصدقات من المحسنين؛ بأن يطلب منهم أهمَّ ما لديهم، ثم يتدرج معهم إلى أقل ما يملكونه، بمعنى: أن لا يخرج من عندهم إلا ومعه ما تيسر؛ دفعاً لفاقة المحتاج وفتحاً لهذا الغني باباً من أبواب الخير، ولولا تصرفه هذا لما عَرَف السبيل إليه.

الأنصار في المقدمة:

قال جرير - رضي الله عنه -: «فجاء رجل من الأنصار بصرَّة كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت»، وهنا تتجلى أهمية كسب الأنصار لأي مشروع من مشاريع الحياة؛ فقد جعلهم الله عماداً تقوم بهم الرسالات، ومن خلالهم تتجاوز المحن والابتلاءات، وتتدلى الثمار يانعات، وهنا أيضاً تتجلى أهمية النصرة للمنكوبين والمضطهدين والجوعى من الفقراء والمساكين والمحتاجين، النصرة للمنهج الحق، وللشريعة السمحاء. إن الأنصار ليسوا من رعاع الناس وهمجهم، الذين جُلّ همهم المكاسب الدنيوية الزائلة، وكم سيكسبون أو يخسرون من هذه النصرة، وليسوا تلك الجموع الغفيرة التي جاءت لتستمع فقط وتهز رأسها إعجاباً بجميل الخطاب ورونق الكلام؛ فإذا حقت الحقائق انفضّوا فلا تحس منهم من أحد ولا تسمع لهم ركزاً، كلا؛ بل الأنصار أصحاب الفاعلية والفداء والتضحية والترجمة العملية لكل ما سمعوه ووعوه فعلاً إيجابياً على الواقع.

رجل من الأنصار؛ هكذا دائماً نقرؤها في كتب الحديث، وما إن تقرأها حتى تجد بعدها موقفاً إيجابياً أو قولاً حكيماً أو مبادرة فاعلة.

ثم تتابع الناس:

ما إن وضع الأنصاري صُرَّته بين يدي النبي ﷺ حتى تتابع الناس كلٌّ يأتي بما استطاع من ماله وثيابه وطعامه، إنه مشهد يضع بين أيدينا عبراً ووقفات:

لقد كان لخطاب النبي ﷺ وقعه وتأثيره في قلوب الصحابة - رضي الله عنهم - ومشاعرهم، كيف لا وقد احمرَّ وجهه وعلا صوته حضاً وتحريضاً وتدرجاً وتفصيلاً، وهنا نرى أهمية التأثر والتأثير بين الحدث والموقف المناسب؛ فالحدث الذي حصل في مسجد النبي ﷺ صنع موقفاً تعليمياً عظيماً ليس للصحابة فحسب بل للأمة كلها، وهكذا المواقف العظيمة تصنعها الأحداث المهمة التي يبقى أثرها إلى ما شاء الله متى ما حسنت النيات وصلحت المقاصد.

يحتاج الناس إلى نماذج حية تحفزها للعمل والبذل والعطاء، إنهم يقتفون أثر من يعجبون بعمله ويتشبهون بفعله وقوله «فكم ممن لم يرد خيراً ولا شراً حتى رأى غيره - لا سيما إن كان نظيره - يفعله ففعله؛ فإن الناس كأسراب القطا؛ مجبولون على تشبه بعضهم ببعض»(٢). وعندما تعجز الأمة عن أن تقدم نماذج عظيمة في كل فن من فنون الحياة، والأسوأ من ذلك عندما تستلهم العقول الساذجة نماذجها من عفن الثقافة الغربية الموغلة في أوحال الفاحشة والرذيلة؛ فلا تعجب حينئذ أن ترى آلاف الشباب يُهرَعون خلف قيادات اللعب واللهو من الممثلين والمغنين والمهرجين، ويصبح هؤلاء هم القدوة والمثل الأعلى لهم في حياتهم!

لقد أفرز هذا التتابع المبارك وتلك المسارعة الحية إلى فعل الخير نتيجة كبيرة ذكرها جرير - رضي الله عنه - بقوله: «حتى رأيت كومين من طعام وثياب»، إنها نتائج حقيقية وليست وهمية، يصوغها الإيمان الصادق، وتدفعها الهمة العالية لتتبوَّأ تلك النفوس الطاهرة مكانتها السامقة، وهكذا هم صحابة رسول الله ﷺ يضربون المثل الأعلى في تحقيق النتائج الباهرة وإن تأخروا قليلاً عن الفعل والتأسي، ولكنه تأخر الفعل الناضج والفكر الواعي، فتنمو أشجار أعمالهم كبيرة عالية يتفيَّأ ظلالها السالكون ويذوق حلاوة ثمارها المحبون، ويعلو شأن من تسلَّق أغصانها فوق ما يتصورون، لقد تأخروا عن حَلْق رؤوسهم في الحديبية ولكنهم لما أبصروا الأمر بعين المتأسِّي لقائده وبصيرة المحب الصادق لنبيه ورسوله؛ سارعوا إلى تنفيذ أوامره والانصياع التام لمقاصده؛ فكانت العاقبة لهم والخزي والعار لعدوهم.

(١) فتح الباري، لابن حجر، كتاب الزكاة (٤/ ٣٢).

(٢) أخرجه أحمد (٢١٦٨٩) و(٢١٧٧٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/ ٤١٦).



الإبداع لا الابتداع:

لقد أحدث هذا المشهد وهذا التناغم الإيماني تأثيراً كبيراً في قلب المصطفى ﷺ؛ حيث علا وجهَهُ البِشْرُ والسرورُ بما رأى من تفاعل أتباعه مع توجيهاته وأوامره وهو ما يجعله يرضى عنهم ويبذل كل ما في وسعه وطاقته سعياً في مصالحهم وإلى ما ينفعهم في الدنيا والآخرة، حتى قال أبو ذر: لقد تَرَكَنَا محمدٌ ﷺ وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا أذكرنا منه علماً[1].

فلم يصمت ﷺ أو يهز رأسه فخراً وخيلاء لَـمَّا رأى استجابة أتباعه كما يفعل الكبراء والعظماء؛ زهواً وترفعاً وكبراً وافتخاراً بهذه التبعية وهذا الخنوع الذي يراه من الجماهير، كلَّا؛ بل أطلق الثناء ومنح العطاء ليس لهؤلاء فحسب بل للأمة كلها وللأجيال اللاحقة، فقال: «من سنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيءٌ، ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيءٌ»، وهنا نقف لنتأمل عبراً ودروساً نبوية مهمة:

منها: أنه ما من جهد إلا وله ثمرة؛ سيئة كانت أو حسنة؛ حلوة كانت أو مرة، بحسب نية صاحب ذلك الجهد ومقصده وهدفه، ولذا فإن النبي ﷺ يقرر أن الأعمال الصالحة التي يفعلها المؤمن لا تضيع سدى ولا تذهب هباء، بل هي عند الله محفوظة، وبالإخلاص مرفوعة، ومن أجور المقتدين بها موفورة، إنه كرم وتفضُّل إلهي على هذه الأمة وفي مقدمتها نبيها ورسولها محمد ﷺ.

إنه منهج يدعو صراحة إلى ابتكار طرائق جديدة وآليات فعّالة وأدوات تخدم تحقيق مفهوم العبودية الذي دعا إليه وتنهل من معين التأسي به والسير على منواله، بل إنه يكافئ هذا المبتكر وهذا المبدع لا المبتدع بالجزاء الأوفى متى ما حسنت النية وصلح القصد. ونلاحظ أن هذه المنهجية يؤكد عليها النبي ﷺ في آخر حياته ليدل ذلك وبوضوح على عظمة هذا الأمر وأن المطلوب من الأمة أن تنطلق إلى ميادين الحياة وتعمل بجِدٍّ ونشاط لتسخير ما أنعم الله عليها من الخيرات والبركات في كل ما من شأنه رفعتها وعزها وقوتها، وصولاً إلى تحقيق العبودية والوحدانية الخالصة لله تبارك وتعالى.

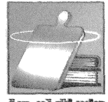
ومنها: أن المتابع لحياة النبي ﷺ وسيرته بين أصحابه يجد عدداً غير قليل من التنبيهات النبوية التي تؤكد أنه ليس هناك طريق إلى الجنة غير الطريق الذي خطَّه خاتم الأنبياء والمرسلين وإمام المتقين وصفوة الخلق أجمعين محمد ﷺ، فيستحيل عقلاً ونقلاً أن يكون ﷺ في آخر سنة من حياته يشرع للناس أن يبتدعوا في دين الله غير ما شرعه وبيَّنه ويضرب بكل أحاديثه وتحذيراته المتكاثرة التي تبين عظمة خطورة الابتداع في دين الله عزَّ وجل؛ عرضَ الحائط ويلغيها بحديث أو أحاديث يسيرة المقصودُ الأعظمُ من ورودها ليس فتح المجال لمضاهاة الطريقة الشرعية التي سنَّها النبي ﷺ من خلال أفعاله وأقواله، وإنما مقصود ورودها أنها دعوة إلى القيام بالمبادرات الذاتية والجماعية واستنهاض الهمم للعمل الدؤوب لإعلاء كلمة الله وتحقيق العبودية لله - سبحانه وتعالى - وحده لا شريك له.

ومنها: بيان أن فضل الله واسع وعطاءه جزيل ومننه عظيمة، وفي هذا ربط قوي بما عند الله الكريم المنان، فمنه وحده الأجر والثواب، وعنده وحده تتضاعف الأجور والحسنات ويرتقي صاحبها في سُلَّم الدرجات درجة ليصعد بأعماله وحسناته أعالي درجات الجنان، بينما تجد أن ذلك الإنسان الذي فعل المنكر واقتدى به آخرون فإنه إن تاب ورجع تاب الله عليه، أما أوزار سيئات الناس فعليهم وليس عليه شيء منها ما دام أنه رجع وتاب وعمل ما استطاع، فالتوبة الصادقة المستوفية لشروطها تَجُبُّ ما قبلها، أما فساد هذا الذنب أو هذه البدعة التي انتشرت لا حيلة له فيه وقد فعل من هذا الواجب كل ما يقدر عليه، وما لا قدرة له عليه فإنه معذور فيه؛ لقوله - تعالى -: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إلاَّ وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

إن قصة وفد مضر تجاوزت أحداثها من كونها دعوة إلى التصدق والإنفاق في سبيل الله إلى درجة بيان المنهجية الإسلامية في التعامل مع الناس باختلاف أحوالهم ومواقفهم؛ لتصل هذه المنهجية الحكيمة إلى أن تخلق من الأمة المسلمة أمة تغيير نحو الأفضل والأرقى والأسمى.

(١) أضواء البيان (٦/ ٢١٢ - ٢١٣).





«إنا لله وإنا إليه راجعون» ملاذ ذوي المصائب

د. أحمد إبراهيم خضر
aiakedr@hotmail.com

المصيبة هي النكبة التي تقع للإنسان وإن كانت صغيرة، وهي المكروه أيضاً، وهي كل ما يؤذي المؤمن.

يقول - تعالى -: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧]. كلمات الاسترجاع في هذه الآية هي: «إنا لله وإنا إليه راجعون»، هذه الكلمات هي ملجأ ذوي المصائب وملاذهم، فلا يتسلط الشيطان عليهم ولا يوسوس لهم بما يزيد من شدة مصائبهم. وهي من أبلغ علاج المصائب وأنفعه للإنسان، وهي جامعات لمعاني الخير والبركة؛ فقول المصاب: «إنا لله» توحيد وإقرار بالعبودية والمُلك لله، وقوله: «وإنا إليه راجعون» إيمان بالبعث بعد الموت، وإيمان أيضاً بأن الله له الحكم في الأولى وله المرجع في الآخرة؛ فهي كلمات تعني: اليقين بأن الأمر كله لله، وأنه لا ملجأ منه إلا إليه.

وتتضمن هذه الكلمات - كما يقول العلماء - أصلين عظيمين إذا عرفهما المصاب خففت عنه شدة ما أصيب به:

الأول: أن يعرف المصاب ويوقن بأن نفسه وأهله وماله وولده كلها ملك لله - تعالى - حقيقة، وأن الله - تعالى - قد أعاره إياها وجعلها عنده، فإذا أخذها الله منه فإنه يكون قد استردَّ ما أعاره إياه، وأن تملُّك الإنسان لما أُعيره إنما كان لفترة يسيرة من الزمن ليستمتع به. وإذا كان الإنسان قبل أن يولد عدماً، وبعد أن يموت سيكون عدماً، وإذا كان الله - تعالى - هو الذي أوجده من عدم؛ فكل ما يملكه ليس ملكه حقيقة وليس له فيه تأثير، وإنما مُلك من أوجده من هذا العدم. والإنسان يتصرف فيه ليس تصرف المالك وإنما تصرف العبد المأمور بالفعل والمنهيِّ عن آخر، ولهذا لا يباح له التصرف إلا وَفْق أوامر المالك الحقيقي ونواهيه وهو الله عز وجل؛ فكيف يأسى على فَقْدِ شيء لا يملكه أصلاً؟

الثاني: أن مصير الإنسان ومرجعه هو إلى الله - تعالى - وأنه لا بد أن يترك الدنيا وراء ظهره، ويأتي ربه يوم القيامة فَرْداً، كما خلقه أول مرة، بلا أهل ولا مال ولا ولد، ولكن يأتيه بالحسنات والسيئات فقط، فإذا كانت هذه بداية العبد ونهايته؛ فكيف يفرح بولد أو مال أو غير ذلك من متاع الدنيا، وكيف يأسى على عزيز فقده، أو مال خسره.

إن في كل قرية وفي كل مدينة بل في كل بيت مَنْ قد أصابته مصيبة؛ فمنهم من أُصيب مرة، ومنهم من أُصيب

مـــراراً، ولا ينقطع هذا حتى يأتي على جميع أهل البيت حتى المصاب نفسه فيصاب أسوةً بأمثاله ممن تقدَّمه؛ فإنه إن نظر يمنة فلا يرى إلا محنة، وإن نظر يسرة فلا يرى إلا حسرة.

وذكـــر العلماء أن ذا القرنين لما رجع من مشـــارق الأرض ومغاربها وبلغ أرض بابل مرض مرضاً شـــديداً، فلما شـــعر بدنـــوِّ أجله كتب إلى أمه: يا أماه! اصنعي طعاماً، واجمعي من قدرت عليه، ولا يأكل طعامك من أصيب بمصيبة، واعلمي هل وجدت لشـــيء قراراً باقياً وخيالاً دائماً؟! إني قد علمت يقيناً أن الذي أذهبُ إليه خير من مكاني. فلما وصل كتابه إلى أمه صنعـــت طعاماً وجمعت الناس وقالت: لا يأكل هذا من أصيب بمصيبـــة، فلم يأكل أحد من هذا الطعـــام، فأدركت ماذا كان يقصـــد ولدها، فقالت: من يبلِّغك عني أنك وعظتني فاتَّعظتُ وعزيتني فتعزَّيت، فعليك السلام حياً وميتاً.

ولـــو فتَّش المصـــاب العالَمَ فلن يرى فيـــه إلا مبتلى؛ إما بفوات محبـــوب أو حصـــول مكـروه؛ فســـرور الدنيـا - كما يقـــول العلماء - أحلام نوم أو كظلٍّ زائل؛ إن أضحكت قليلاً أبكت كثيراً، وإن ســـرَّت يوماً ســـاءت دهراً، وإن متعت قليلاً منعت طويلاً، وما جلبت للشخص في يوم سروراً إلا خبَّأت له في يوم آخر شـــروراً. وقال العلماء أيضاً: ما كان ضحك قط إلا كان بعده بكاء.

ورغـم ذلك كلـــه؛ فـإن فـــي قصـــة أم ســـلمة - رضي الله عـنها - بشـــارات مضيئة لذوي المصائب. قالت أم سلمة - رضي الله عنها -: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون؛ اللهم اؤجرني فـــي مصيبتي واخلف لي خيراً منها إلا آجره الله في مصيبته وأخلـــف له خيراً منها، قالت: فلما توفي أبو ســـلمة قلت: مَنْ خير من أبي ســـلمة صاحب رسول الله ﷺ؟ قالت: ثم عزم لي فقلتها، فتزوجت رسول الله ﷺ»[1].

المقصود هنا: أن هذا تنبيه على قوله - تعالى -: ﴿وَبَشِّـرِ الصَّابِرِينَ﴾ بأنه - تعالى - يُخلِف المصاب كما أخلف لأم سلمة - رضـي الله عنـها - بـدل زوجـها أبـي ســـلمـة - رضي الله عنـه - رســـولَ الله ﷺ حين اتبعت السنة وقالت ما أُمرت به ممـتثلة طـائـعة موقـنة بأن البـر والخير فيما قاله الله ورسوله ﷺ، وأن الضـلال والشـــقاء فـي مخالـفـة الله ورسوله ﷺ، فلما علمت - رضي الله عنها - أن كل خير في الوجود ســـواء كان عاماً أو خـاصـاً؛ فهو من جهة الله ورســـوله ﷺ، وأن كل شر في الـعالم أو كل شر مختص بالعبد فسببه مخـالفة الله ورســـوله ﷺ؛ قالت هذه الكلمات فحصل لها مرافقة الرسول ﷺ في الدنيا والآخرة.

وقد يتحقق للإنســـان بكلمات الاســـترجاع منزلة عالية وثـــواب جزيل؛ فإن الله - تعالى - يقـــول لملائكته: «ماذا قال عبدي؟ (أي: عند المصيبة) فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله - تبارك وتعالى -: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسمّوه بيت الحمد»[2].

والذي يسترجع عند المصيبة عليه صلوات من ربه (أولاً)، ورحمة منـــه (ثانياً)، وهو من المهتدين (ثالثـــاً)، كما جاء في قوله - تعالى -: ﴿وَبَشِّـرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُـوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْـهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَئِكَ عَلَيْهِـمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَـةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقـرة: ١٥٥ - ١٥٧]. وقال عمر - رضي اللـــه عنه - في ذلك: نِعْمَ العـــدلان ونعمت العلاوة، فأراد بالعدلين الصلوات والرحمـــة، وبالعلاوة الهداية. وقيل فيها أيضاً: المراد استحقاق الثواب وتسهيل المصاب وتخفيف الحزن ﴿أُوْلَئِـكَ عَلَيْهِمْ صَلَـوَاتٌ مِّن رَّبِّهِـمْ﴾؛ فالصلاة من الله الرحمـــة، ومـــن الملائكة الاســـتغفار، ومن الآدمـــي التضرع والدعـــاء. وقال العلماء: صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء.

ومن أعظم البشـــارات كذلك: أن من أصيب بمصيبة ثم تذكرها بعد مدة طويلة فجدَّد لها اســـترجاعاً وصبراً كان له عند الله من الأجر كلما ذكرها واسترجع.

قال الإمام أحمد في مســـنده: عن النبي ﷺ قال: «ما من مسلم ولا مســـلمة يصاب بمصيبة فيذكرها وإن طال عهدها - قال عباد: قدم عهدها - فيُحْدِث لذلك استرجاعاً إلا جدَّد الله له عنه ذلك فأعطاه مثل أجرها يوم أصيب بها»[3].

وقـال ســـعيـد بـن جبير: مـا أعـطي أحـد في المصـيـبة ما أعطي هـذه الأمـــة - يعني (إنا لله وإنا إليه راجعـون) - ولو أعطي أحد لأعطي نبي الله يعقوب - عليه الســـلام - ألم تســـمع قوله في فقد يوسف: ﴿يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٤]، أولئـــك - أصحاب هـذه الصفة - ﴿عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٧].

(١) المعجم الكبير للطبراني.

(٢) سنن الترمذي، رقم ٩٤٢.

(٣) مسند أحمد، رقم ١٦٤٤.





الأسرة وبناء اللغة

د. محمد بن عبد الله الدويش
dweesh@dweesh.com

تمثِّل الأسـرة مؤسسـة تربوية لها أهميتها في تشـكيل شخصية أولادها؛ ودورُها في صياغة شخصية الأولاد أوسع بكثير مما نفترض.

وحين نتحدث عن الأسـرة ينصرف ذهن كثير من الناس إلى دورها في التربية على التديُّن، والبناء السـلوكي سـلباً وإيجاباً، واكتساب العادات الحسنة وغير الحسنة.

وهي مجـالات لها اعتبارها وأهميتها البالغة، ولكنْ ثمَّت تأثير بالغ للأسرة قلما يُتفطن له.

إن الأسرة تبني الشـخصية بناءً يبقى أثره على المنتمين لها في مسـتقبل حياتهم، ويتحول إلى جزء من شـخصيتهم شعروا بذلك أو لم يشعروا. ومما يزيد من خطورة هذا الدور أن كثيراً مـن عوامل البناء وأدواته غير منظورة ولا مقصودة للأسرة؛ فهي تندرج ضمن إطار المنهج الخفي.

ومن مجالات البناء المهمة في الشـخصية: البناء اللغوي، وهو أوسـع من مجرد اكتسـاب مفردات اللغة والقدرة على النطق بها والتواصل من خلالها.

ولئن كان إتقان الفـرد لمفردات اللغة وتوظيفها الصحيح نحوياً وصرفياً من مهمة المدرسة؛ فإن للأسرة تأثيراً بالغاً في البناء اللغوي قلَّما يلقى العناية الكافية.

في الأسرة يتعلم الفرد ما يلي:

- التعبيـر عن الحقوق بلغة واضحـة جلية مراعياً الأدب والذوق.
- بيان رأيه، أو الاعتراض على قرار يُتخذ بشأنه من سلطة أعلى.
- انتقاد مواقف الآخرين وبيان أوجه القصور في تصرفاتهم بلغة بعيدة عن التجريح والتنقُّص.
- الدقة في التعبير عما في نفسه.. إلخ.

إن هذا التوظيف للغة يكتسـبه الطفل سلباً وإيجاباً من أسرته، ويتعلم من خلالها أسـاليب التعبيـر، وحـين تخفق الأسـرة فـي تنمية لغة الطفل فـي هذا الإطار يعيـش صراعاً بين خيارين: السكوت كرهاً عن حقوقه، أو المطالبة بها بلغة تخرج عن حدود اللباقة.. الخضوع للسلطة دون اقتـناع، أو التمرد عليها.. مسايرة الآخرين في أخطائهم، أو النقد الجارح لهم.

وربما امتدت هذه الآثار حتى بعد اكتسابه للعلم والثقافة؛ حيث يظهر أثر الخلل في بنائه اللغوي في كتاباته ومحاوراته وردوده.

ومن الوسـائل المهمة التي تسهم في تحقيق البناء اللغوي السليم للطفل ما يلي:

- القدوة الحسنة من الوالدين في الحوار بينهما والتخاطب مع الآخرين؛ ففاقدُ الشيء لا يعطيه.
- ما يتلقَّاه من تواصـل لغوي من قِبَل والديه؛ فالرقي في التعبير بين الوالدين وأطفالهم له أثره في نموِّ التعبير اللغوي لدى الطفل، واكتسابه التعبير اللغوي الإيجابي، ومن مجالات ذلك:
  - اختيـار المفـردات الملائمـة وتجنُّب المفـردات غير اللائقة.
  - استخدام الكناية والتعريض عما يفحُش ذكره.
  - وصف الطفـل والأطفال بالألفـاظ التي تعطي دلالة لغوية إيجابية؛ كـ (الطفل) بدلاً من الألفاظ العامية الشـائعة التي تعطي إيحاءً سلبياً.
  - البُعْـد عن الإيغـال في العامية؛ سـواء كان ذلك في المفـردات أو التراكيب والصياغة، ولا يعني ذلك اسـتخدام الفصحى بصورة صارمة؛ فيمكن استخدام (عامية المثقفين).
- التقويم الإيجابي للأداء اللغوي غير المناسـب من قِبَل الطفل، وتزويده بالبدائـل الإيجابية دون لوم أو تعنيف، ومن ذلك على سـبيل المثال: (هل تقصد كذا وكذا؟) (ألا تـرى أنه لو تم التعبير بالجملة الآتية..؟).
- تقديم مواد مسـموعة ومرئية للطفل تثري لغته وتوسع خيارات التعبير اللغوي لديه.

ومسـاحة هذه المقالة تضيق عن اسـتيعاب الوسـائل والأساليب المناسبة في ذلك.





1 رسائل الأذكار

2 رسائل الفتاوى

3 رسائل المرأة المسلمة

4 رسائل أفراح الروح

5 هذا المحب يا حبيب

6 معاني كلمات القرآن الكريم

7 مواقيت الصلاة

8 مهارات النجاح

9 حكم وأمثال

للإشتراك في خدمة رسائل
جوال طيبة
أرسل رسالة نصية SMS
تحتوي على رمز الخدمة
إلى الرقم 1030

طريقة إلغاء الخدمة
أرسل حرف U زائداً
رقم الخدمة

عبر شبكتي
سوداني و زين





الأزمة المالية ..
ومبادئ الاقتصاد الإسلامي

أ. د. جعفر شيخ إدريس
jsidris@gmail.com

من النتائج العجيبة للأزمة المالية التي بدأت في الولايات المتحدة ثم أخذت تجتاح أوروبا والعالم من ورائها؛ أنها لفتت أنظار كثيرين من رجال الاقتصاد والسياسيين في أوروبا إلى مبادئ الاقتصاد الإسلامي وإمكانية أن يكون بديلاً للنظام السائد وعلاجاً لما تسبَّب فيه من مشكلات.

وقصة الدعوة إلى بناء المؤسسات الاقتصادية الحديثة على أسس من مبادئ الاقتصاد الإسلامي؛ قصة فيها كثير من الروعة، قصة جمعت بين الدعوة بالأدلة العلمية والأمثلة العملية؛ فكتب الله لها نجاحاً كبيراً. بدأت هذه القصة في الخمسينيات الميلادية من القرن الماضي فيما أذكر. فقد دعا خبراء اقتصاديون إسلاميون في مصر وباكستان - وربما في أماكن أخرى لم أطَّلع عليها - إلى ما أسموه بـ (المصارف غير الربوية). وكان من أبرزهم: الاقتصادي الباكستاني نجاتي صديقي. ولم تكن دعوتهم دعوة مجردة إلى الأخذ بالمبادئ الإسلامية، بل إنهم استفادوا من خبرتهم في مجال المصارف ليبيِّنوا أن هذا أمر ممكن، بل ليقترحوا الطرائق العملية لتنفيذه. وكان من الطبيعي أن يسخر منهم المقلِّدون لكل ما هو غربي؛ الذين يظنون أن كل مؤسسة غربية سياسية كانت أو اقتصادية أو تربوية أو غير ذلك هي من لوازم العصر، وأن كل بديل لها إنما هو خرافة أو شيء قد عفَّى عليه الزمن. لكن هؤلاء الرواد كانوا على يقين من صحة ما يقولون، ولذلك استمروا في كتاباتهم عن البنوك غير الربوية غير عابئين بأقوال هؤلاء العميان.

ثم تطوَّر الأمر إلى أن صارت المؤتمرات تُعقد عن الاقتصاد الإسلامي، ربما كان أولها المؤتمر الذي عُقد في مكة المكرمة في عام ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م) تحت عنوان «المؤتمر الأول للاقتصاد الإسلامي» الذي تشرَّفتُ بحضوره.

ثم إن بعض رجال المال الذين اقتنعوا بالفكرة أقدموا على وضعها موضع التنفيذ، وربما كان بنك دبي الإسلامي أولها، ثم تبعه أو زامنه بنك فيصل الإسلامي. وقد اعترض

على الفكــرة في صورتها العملية أصحــابُ البنوك الربوية التقليدية، وحاولوا أن يحاربوهـــا، كما اعترض عليها بعض المتدينين الذين يظنون أنه لا يكون الشـــيء إســـلامياً إلا إذا كان أمـــراً لا نقص فيه، فبدؤوا لذلك يتتبَّعون مواطن الخلل فيها، ويجعلون ذلك وســـيلة لمحاربتها. ولا زلت أذكر كيف أن بعضهم ذكر لشيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز بعض مواطن الخلل هذه في ندوة عامة عُقدت في الرياض لمناقشة قضية البنوك الإســـلامية؛ فكان ردُّ الشيخ الفقيه كلاماً فحواه أنها مع عيوبها خير من المصارف الربوية البحتة.

ثم تعددت هذه المصارف الإســـلامية وانتشرت – بحمد الله تعالـــى – في كثير من بلدان العالم الإســـلامي، ثم في ســـائر بلاد العالم، ومن بينها: أوروبا وأمريكا، فعرفها بعضٌ من خبراء الاقتصاد ومن عامة الناس.

واستمرت فكرة المصارف غير الربوية تتطور على الصعيد العلمي النظري وعلى الصعيد العملي. وأعرف شباباً مسلمين اختصوا بعلم الاقتصاد في الجامعات الأمريكية كانت رسائلهم عن الربـــا وفوائد إلغائه من المعامـــلات المالية الحديثة؛ بل إن بعض الجامعات بدأت تهتم بمبادئ الاقتصاد الإســـلامي وظلت تعقد عنه منتديات ســـنوية كان آخرها المنتدى الثامن الذي عُقد في أبريل من هـــذا العام الميلادي والذي يحدثنا عنه الأســـتاذ المسلم علي خان – أســـتاذ القانون في إحدى الجامعات في ولاية كنساس في الولايات المتحدة، – فيقول: إن التمويل الإسلامي بدأ يجذب أنظار كثير من الأكاديميين، وإن كثيراً من الذين شـــاركوا في المنتدى كانوا يتساءلون عما إذا كان الأخذ بمبادئ التمويل الإســـلامي سينقذ المصارف الأمريكية من التصدُّع الذي تعانيه الآن؟[1]

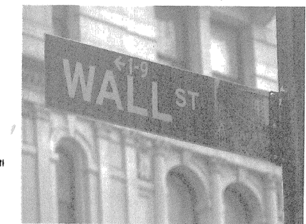
ثـــم جاء الحدث الـــذي روته وكالة الأخبار الإســـلامية والذي تقول فيه:

دعا مجلس الشـــيوخ الفرنسي إلى ضمِّ النظام المصرفي الإســـلامي إلى النظام المصرفي في فرنســـا، وقال المجلس في تقريـــر أعدَّته لجنة تُعنَى بالشـــؤون المالية في المجلس: إن النظـــام المصرفي الذي يعتمد على قواعد مســـتمدة من الشريعة الإســـلامية مريح للجميع؛ مسلمين وغير مسلمين. وســـيزعج هذا الخبر كثيراً من العَلْمانيين في بلادنا، وحق للعَلْمانيـــين أن ينزعجوا؛ لأن الثناء علـــى مبادئ الاقتصاد الإســـلامي لن يقف عند حدود الاقتصاد، بل لا بد أن يقول بعض العقلاء لأنفســـهم: إذا كان هـــذا الدين صحيحاً في نظرته إلى الاقتصاد، وإذا كان الأخذ بمبادئه ســـينجينا من هذه الكوارث الاقتصادية؛ فربما كان حقاً في جوانبه الأخرى أيضاً. ربما قال بعض العقلاء منهم هذا؛ لا ســـيما إذا رأوا كيف أن ما حدث لبنوكهم هو صورة حسية للمَحْق الذي ذكره الله – تعالى – في قوله: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٦]. وهل رأيت من مَحْق أكثر من أن تفلس مؤسســـات جمعت البلايين من الأموال بالربا ثم صارت تحتاج إلى إنقاذ؟

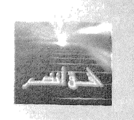
ولذلك فإنهم قـــد يدخلون في دين الله من هذا الباب، وهذا ليس بالأمر المســـتغرب؛ فإن أبواب الدخول في الدين متعددة، لكن كل داخل من باب يجد نفســـه مع الداخلين من الأبواب الأخرى في باحة الحق الواسعة.

أقول بشـــيء من الأســـى: إذا كانت هذه الأمثلة القليلة لمؤسسات اقتصادية إسلامية قد جذبت هذا الانتباه الكبير؛ فكيف لو أن البلاد الإســـلامية جميعاً كانت قد بنت حياتها الاقتصادية كلها على أســـس من شـــرع الله تعالى؛ فضربت للناس مثلاً عملياً على تفوُّق التعاليم الإســـلامية في مجال الاقتصاد على مبادئ الرأســـمالية والاشـــتراكية، وأفلحت في إسعاد البشـــرية كما لم يفلح أي من تلك الأيديولوجيات الغربيـــة. ولكن إذا لم تفعل في الماضـــي فلعلها تدرك الآن خطأها وتعود إلى هدى ربها.

وإخواننا العلماء الذين كانوا قد أجازوا لإخوانهم المسلمين فـــي بلاد الغرب أن يقترضوا قروضاً ربوية لشـــراء البيوت؛ لعلهم الآن يراجعون موقفهم، ويريؤون بإخوانهم المسلمين أن يشاركوا في معاملات تؤدي إلى مثل هذا الفساد في الأرض الذي كان نتيجة المعاملات الربوية في المصارف الغربية.



(1) http://www.counterpunch.org/khan09272008.html.



أزمة كفاءات



د. عبد الكريم بكار

www.islamtoday.net/bakkar

حين يتحدث الناس عن أزمة؛ فإن من الطبيعي أن يكون هناك اختلاف في تاريخ تلك الأزمة وفي أسبابها وحجمها والمخرج منها... وما ذلك إلا لأنهم ينظرون إلى الوضع من زوايا مختلفة، ويستخدمون مفاهيم ومعايير متباينة، وإن من سنن الله - تعالى - أن كثيراً من الأشياء يكون في مرحلة من المراحل عبارة عن أمنية وحلم، وإذا به في مرحلة تالية يتحول إلى عبء ومُشكِل، وعلى كل حال فإن الحديث عن الأزمات يُعدُّ شيئاً إيجابياً؛ لأننا في الغالب لا ندرك أن هناك أزمة إلا من أفق ما لدينا من حلول لتلك الأزمة، حتى إن من الممكن أن يقال: كلما نضجت الحلول المطروحة لمشكلة من المشكلات تحسَّنت بصيرتنا في رؤيتها، وقوي الإجماع على الحكم بوجودها...

إن وجود الأزمات في حياتنا شيء مألوف، والعالم عبر التاريخ تقدَّم من خلال الأزمات أكثر من تقدُّمه من خلال الرخاء؛ ولله - تعالى - في خلقه شؤون.

نحن نعرف أن الدعاة والمثقفين المسلمين عامةً دخلوا مجال الإعلام في وقت متأخر نسبياً، وكان تأخُّرهم الأكبر في الدخول إلى الإعلام المرئي، وذلك لعدد من الأسباب المتنوعة، ونحن نشاهد اليوم توجُّهاً واضحاً إلى إنشاء الفضائيات الإسلامية، وهذه ظاهرة تبعث على الاغتباط - في الجملة - وكأن الناس أدركوا أنهم فرَّطوا في الماضي في هذا الشأن، فأخذوا يعوِّضون اليوم عن ذلك، ويستدركون شيئاً مما فاتهم.

التلفاز صناعة غربية، ولم يتم إنشاؤه في الأساس من أجل التعليم، وإنما من أجل الترفيه وملء أوقات الفراغ بشيء مسلٍّ، ومن هنا فإن استخدامه في الدعوة يحتاج إلى مهارة وكفاءة وإبداع..

الأزمة التي تلوح في الأفق الآن تتمثل في حاجة عشرات الفضائيات الإسلامية إلى متحدثين من الطراز الرفيع؛ حتى يتمكنوا من جذب المشاهدين لمتابعة تلك الفضائيات. والذين يُحسنون التحدث إلى الناس في الإعلام المرئي دائماً قليلون؛ بسبب حساسية هذا النوع من الإعلام وقسوة شروط النجاح فيه. وإذا تأمَّلنا في أحوال كثير من الفضائيات الإسلامية؛ فإننا سنجد أنها تعاني من ضعف الميزانيات، حيث إن أثرياء المسلمين لم يكتشفوا بعدُ أهمية التحولات الاجتماعية التي يُحدثها الإعلام اليوم، وهذا الضعف في التمويل أدَّى بالطبع إلى ضعف الأجهزة الإدارية وإلى العجز عن اجتذاب الكفاءات الإسلامية المتوفرة، وهي على كل حال شحيحة، وهذا سيضطر كثيراً من القنوات إلى أن تخفض شروطها ومواصفاتها في جودة المعروض وفي سويَّة المتحدثين، بل إن تلك القنوات دخلت فيما يشبه الحلقة المفرغة؛ فهي تحتاج إلى المشاهدين كي تحقق أهدافها في نشر الدعوة، وهي في حاجة إليهم حتى تجتذب المعلنين التجاريين الذين سيدفعون المال المطلوب لاستمرار القنوات في عملها. واجتذاب المشاهدين لا يتم إلا من خلال تميُّز ما تقدِّمه القنوات وعلوِّ مستواه، وهذا يحتاج إلى مال، فوقع الدور؛ كما يقول المناطقة.

إن المتحدِّث حين ينتمي إلى تيار معين؛ فإن إخفاقه يسيء إلى سمعة ذلك التيار، ويشوِّه الصورة المنطبعة عنه في أذهان الجماهير، وهذا ما يحدث الآن؛ حيث إن بعض المتحدثين في الفضائيات يحاولون التأثير في الناس عن طريق الإغراق في الحديث بالعامية واللهجات المحلية، وبعضهم يحاول ذلك عن طريق التنميق اللفظي المجوَّف من الأفكار والمعاني العظيمة، وبعضهم يعمد إلى سوق الحكايات والغرائب... والقادم أعظم!

إن من المهم أن ندرك أن الإنسان كائن مستهلك، يستهلك الأفكار والأساليب والأشكال... كما يستهلك الأغذية والملابس، أي: إن المتحدث الذي يثير إعجاب الناس اليوم قد لا يستطيع إثارة إعجابهم غداً؛ إلا إذا تجدَّد هو، أو قُلْ: استمرَّ في التجدُّد.

ما العمل؟

لا نستطيع بالطبع أن نحصل على حلول مثالية في بيئة غير مثالية، لكن تظل هناك فرصة لعمل شيءٍ ما. ومما يمكن عمله الآتي:

١ - التركيز على الكيف، وليس على الكم؛ إذ إن بثَّ قناة مدة ست ساعات من البرامج الممتازة خير من بثٍّ برامج هزيلة على مدار الساعة.

٢ - نحن نريد أن يتجه من يريد الانخراط في الإعلام المرئي إلى أن يفكر في إمكانية فتح مؤسسة للإنتاج الإعلامي عوضاً عن إنشاء فضائية، حيث إن التكاليف أقل، والحاجة إليها ماسَّة.

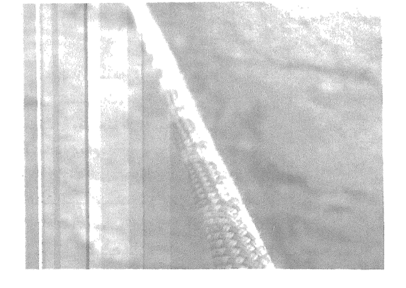
٣ - يشكل التدريب أحد الحلول لندرة الكفاءات، وربما صار المطلوب أن يُقدَّم لمتحدث الفضائية نوع جديد من التدريب، هو التدريب الفكري، أي: العمل على ارتقاء المضمون الذي يطرحه المتحدث وطريقة صياغته الداخلية وإثرائه بالمحاكمات العقلية النيِّرة، وهذا غير مألوف لدينا، لكن يبدو أنه لا بد من الصيرورة إليه.

٤ - الإبداع في البرامج والإبداع في المعالجة والإبداع في فهم الذائقة الثقافية للمشاهد والتلاؤم معها... كل هذا مما تمسُّ إليه الحاجة، وقد يكون من الملائم أن تعلن فضائية أو مجموعة فضائيات إسلامية عن جائزة سنوية تُعطَى لأفضل البحوث التي تساعد على تطوير البثِّ الفضائي الإسلامي.

الانتباه إلى وضعية الإعلام المرئي اليوم من الأمور المستعجلة التي لا تحتمل التأخير، والتعاون في سبيل معالجة هذه الوضعية مطلوب من كل القادرين عليها. والله المستعان.









القمة تكفي لأكثر من واحد

إبراهيم الحيدري(*)
alhaidari@hotmail.com

اعتاد كثير منا عندما يرسم قمة جبل أن يرسمها على شكل رأس مدبَّب لا يستوعب سوى موطئ قدم واحدة. ويبدو أن هذا النسق التفكيري صاحب كثيراً منا في نواحٍ كثيرة من حياتهم؛ فالمكانة الاجتماعية والتعليمية والمهنية التي عادةً ما تصاغ على وزن (أفعل) ينبغي عند كثير ألا يحتلها سوى اسم واحد فقط. فهناك في مخيلتنا شخص واحد هو من يستحق أن يطلق عليه (أبلغ خطيب)، وشخص واحد يحمل لقب (أفضل مدير)، ومكان يتيم لأحسن جراح... وهكذا.

وتطور عند قليل منا لكنهم من المؤثرين في هذا النسق التفكيري لتكون المعادلة لديهم بالمقلوب، وأصبحت القناعات تُبنى والنصائح تُسدى بأنه إذا تمكّن شخص قبلك في مجالٍ ما فابحث عن مجال آخر غيره.

إلا أن كثيراً مما اعتدنا عليه ليس بالضرورة صحيحاً؛ فالقمة في أكثر جبال الأرض مسطَّحة وتكفي لأكثر من شخص، وهي كذلك في كثير من المجالات تستوعب أكثر من متقن ومجيد.

هذا الشعار من شأنه أن يخفّف من حدة أعراض المنافسة التي قد تتولّد لدى متسلّقي الجبل الواحد إذا ما أدركوا أن القمة التي يستهدفونها تستوعبهم جميعاً، وتستوعب آخرين معهم.

وهو كذلك محفز غير مكلف لشحذ همم أولئك الذين يتربَّعون على القمم لتحسين مستمر لمهاراتهم ومواصلة المسيرة في الرقي بقدراتهم، عندما يعلمون أن هناك من يشاركهم القمة.

وإذا ما تفهَّم هذا الشعار شاغلو القمم فإن عملاً جماعياً تكاملياً من المرشح أن يتحقق بينهم ليكون مثالاً رائعاً لبقية الناس، وهو ما يسرِّع في انتشار مفهوم العمل الجماعي، ويحاصر مفهوم الفردية التي تسيطر على مجتمعاتنا في مستويات التفكير والتدبير.

(القمة تكفي لأكثر من واحد) شعار قد يهمُّ صالحي الناس ومصلحيهم؛ لأنهم أوْلى بالصدارة والأقدر على الريادة بما يحملونه من مبادئ نبيلة وقيم ترقى عن حظوظ الدنيا وأطماعها. لكنه لا ينطبق على الأفراد فحسب بل حتى على المنظمات والهيئات داخل الحرم الخيري والدعوي بالخصوص؛ فوجود منظمة خيرية ناجحة في مجالٍ ما لا يعني توقُّف الآخرين عن إيجاد منظمة أخرى مشابهة؛ لسبب بسيط ومنطقي هو أن المجال يستوعب أكثر من منظمة ناجحة.

إن الرسالة التي تحاول أن تبثَّها هذه الأسطر ليست القناعة بـ (أن هناك أكثر من قمة) بل أن (القمة الواحدة تكفي لأكثر من واحد).

(*) ماجستير في الإدارة، باحث في إدارة العمل الخيري.



الدكتور محمد العصيمي للبيان:

النظام الليبرالي يقود إلى مجزرة اقتصادية عالمية

الأزمة المالية التي عصفت بالأسواق المالية أبرزت عوار الفلسفة الرأسمالية، وكشفت كثيراً من عيوب المنظومة الاقتصادية الليبرالية، وعندما كان علماء الاقتصاد الإسلامي يحذرون من فساد الربا وتبعاته الخطيرة؛ كان بعض المفتونين بالغرب يتجاهل هذه الأصوات، بل كان بعضهم ينظر نظرة ازدراء وانتقاص لتجربة البنوك الإسلامية.. أما وقد حصل هذا السقوط المدوّي للاقتصاد الرأسمالي بماديته وجشعه المفرط، فإنه قد آن الأوان لإبراز الرؤية الإسلامية بكل ثقة واطمئنان وتقديم البديل الراشد الذي يستنقذ الأمة من دركات التبعية.

ويسر مجلة أن تلتقي أحد رموز الاقتصاد الإسلامي: فضيلة الدكتور محمد بن سعود العصيمي؛ مدير الرقابة الشرعية في بنك الراجحي سابقاً، والمدير العام للمجموعة الشرعية في بنك البلاد حالياً، والأستاذ المشارك في كلية الاقتصاد - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وعضو الهيئة العالمية للاقتصاد والتمويل، وصاحب موقع الربح الحلال على الشبكة (halal2.com).

أجرى الحوار: مجلة البيان

البيان: ما مشكلة التمويل العقارية بصورة مبسطة للقارئ غير المتخصص؟

بدأت المشكلة منذ ما يزيد على أربع سنوات، حين قامت البنوك التجارية كما هو المعتاد من عملها بتقديم قروض لعملائها لشراء مساكن وعقارات. وحيث إن تلك الفترة (من عام ٢٠٠٢م إلى ٢٠٠٦م) كانت الفائدة الربوية قليلة، وواكب ذلك ارتفاع شديد في أسعار العقارات؛ فتلاقت رغبة الناس في الشراء قبل مزيد من الارتفاع، مع رغبة البنوك في تمويل شراء العقارات. ومن المعلوم أن الفائدة إذا كانت قليلة فإن حصول البنوك التجارية على السيولة يكون أيسر. وحيث إن درجة ملاءة العملاء تختلف قوة وضعفاً، فمع سهولة الحصول على السيولة تتساهل البنوك التجارية عادة مع المقترضين، وتقبل منهم ذوي ملاءة أقل فأقل. وقد تنافست البنوك على تشغيل تلك السيولة، خاصة أنهم يقرضون بسعر فائدة أعلى بكثير من الفائدة التي يقترضون بها. فقد يقترض البنك بسعر فائدة ٣ ٪، ويقرض بسعر ٨ أو ٧ ٪. فكانت مجالاً ضخماً لأرباح البنوك في تلك الحقبة.

ومن هنا بدأت المشكلة، ولكنها لم تتبلور إلا حين تراكمت ديون البنوك التجارية وتغيرت أسعار الفائدة وأسعار العقارات، فمع بداية عام ٢٠٠٦م تقريباً بدأت أسعار الفائدة بالارتفاع،

وبدأت أسعار العقارات بالانخفاض، وقد أوجد ذلك مشكلة كبيرة لذوي الملاءة الضعيفة، فدخولهم لا تكفي لسداد الديون التي تزاد مع ازدياد الفائدة - إذ من المعلوم أن أقساط السداد بفائدة متغيرة تزيد مع زيادة سعر الفائدة - ولم يكن أمام أصحاب العقارات خاصة مع استمرار انخفاض قيمتها إلا أن يتوقفوا عن السداد ويتركوا البنك مع العقار المرهون. وقد سبَّب ذلك مشكلة كبيرة للبنوك التجارية وللبنوك الاستثمارية التي تشتري ديونها.

البيان: عفواً: ما المقصود بالبنوك الاستثمارية؟

الفرق بين البنوك التجارية والاستثمارية أساسي ومهم، فالبنوك التجارية هي التي تقبل ودائع العملاء وتشتغل بها لصالح البنك، مع إتاحة الرصيد للعميل في أي وقت. والبنوك الاستثمارية لا تقبل الودائع، ولكنها تعمل في الوساطة في الأسهم وتشتري السندات، وتفتح المحافظ والصناديق الاستثمارية، ولا تقدم القروض المختلفة؛ لا الإسكانية ولا البطاقات ولا غيرها. وإن احتاجت إلى السيولة اقترضت من البنوك التجارية.

ومرجعية البنك التجاري إدارياً وإشرافياً ورقابياً للبنك المركزي، بينما مرجعية البنك الاستثماري هيئة السوق المالية، وتسمى في أمريكا هيئة السوق والأوراق المالية. وهناك فروق كبيرة في حجم القروض التي يستطيع كل نوع قبولها ومن ثم تقديمها، فحين لا يستطيع البنك التجاري أن يتقبل من الديون أكثر من ٩ أو ٨ أضعاف رأسماله؛ تجيز أنظمة البنك الاستثماري أن يقبل ما يزيد عن ٢٠ إلى ٣٠ ضعفاً، والسبب واضح فمخاطر البنوك التجارية أكبر بسبب أنها تعمل في أموال المودعين، ومن ثم كانت رغبة الجهات التنظيمية هي تقليص مخاطرها، بخلاف البنوك الاستثمارية التي يراد لها أن تدخل مجالات أكثر مخاطرة يحتاجها السوق، وبرغبة المستثمرين أصحاب الأموال.

وإن البنك التجاري حينما يقدم قروضه العقارية أو غيرها لعملائه، وتظهر ميزانيته أن أصوله من الديون كبيرة؛ تلجأ هذه البنوك التجارية إلى تقليص تلك الديون خاصة طويلة الأجل؛ لأجل تخفيض المخاطر وتنويعها، ولأجل تقديم القروض مرة أخرى وأخذ رسوم على العمليات الجديدة. ولأجل ذلك تقوم البنوك التجارية ببيع تلك الديون للمؤسسات المالية الراغبة في الحصول على مثل ذلك النوع من الديون، فتشتريها البنوك الاستثمارية وغيرها، وبهذا العمل تحصل البنوك التجارية على مزيد من السيولة فتقدم بها مزيداً من القروض الإسكانية أو غيرها، وهكذا دواليك.

وحيث بدأت المشكلة التي أشرت إليها من ارتفاع أسعار الفائدة وانخفاض أسعار العقارات؛ فقد بدأ معدل عدم السداد بالازدياد، وهو ما جعل المؤسسات المالية التي اشترت تلك الديون - خاصة البنوك الاستثمارية - تضطر إلى قبول العقارات المرهونة بديلاً عن السداد. وحيث إنها لا بد أن توزع أرباحاً لعملائها نهاية الفترات المالية الربعية أو السنوية؛ فكان لا بد من بيع بعض تلك العقارات، وهو ما أوجد ضغطاً رهيباً على أسعار العقارات، وأدخل السوق العقارية في دوامة؛ فذوو الملاءة الرديئة يزداد عددهم، وأسعار الفائدة ترتفع، وأسعار العقارات والمساكن تزداد انخفاضاً. وحين تصبح خسائر أي مؤسسة مالية أو بنك أكثر من رأسماله فلا بد أن يزيد رأسماله أو يقترض، ولكن السوق بدأت تستوعب حجم المشكلة وضخامتها فلم يقدم أي بنك قروضاً للبنوك الاستثمارية، وهو ما استدعى إعلان بعضها إفلاسها وتدخل بعض الحكومات لدعم بعضها.

البيان: هل هناك مشكلات مشابهة في السابق؟ وكيف تم التغلب عليها؟

مشكلات الاقتصاد العالمي والأمريكي على وجه الخصوص كثيرة تاريخياً، وسأعرض أهم ما مر على الاقتصاد الأمريكي. ويكاد يُجمع الاقتصاديون على أن أكبر مشكلة مرت على الاقتصاد الأمريكي هي مشكلة الكساد العظيم، بين عامي ١٩٢٩-١٩٣٣م. ولقد كانت فعلاً أزمة من العيار الثقيل، واتخذت بعدها الحكومة الأمريكية حزمة من التغييرات والتحسينات على سياسات وإجراءات المؤسسات المالية الحكومية والتجارية. وقد أدت الأزمة إلى انهيار سوق الأسهم بسبب ضخامة المبالغ المستثمرة في مضاربات السوق خاصة بعد تقديم البنوك التجارية قروضاً لتلك المضاربات، وانهار معها ٩٠٠٠ بنك تجاري، وبلغت البطالة في الشعب الأمريكي أكثر من ٤٠٪. ومن أهم الحلول التي طرحت لتلك الأزمة تقوية صلاحيات البنك المركزي الأمريكي، وإنشاء شركة عام ١٩٣٩م لإدارة الموجودات الضعيفة التي تعود لآلاف مؤسسات الادخار والإقراض والبنوك الفاشلة في الولايات المتحدة، كذلك أنشئت شركة التأمين على ودائع البنوك التجارية (بحدٍّ أقصى مائة ألف دولار أمريكي لكل شخص في كل بنك)، وفُصلت أعمال البنوك التجارية عن البنوك الاستثمارية، فمنع البنك التجاري من التعامل مع ديون الشركات إصداراً وضماناً وتغطية، وسمح لها فقط في البيع الأولي للديون الحكومية

(ســندات الخزانة قصيرة الأجل)، وترك للبنوك الاستثمارية كل ذلك، وســمح لها أيضاً بالوساطة في عمليات الأسـهم والسندات وإنشاء الصناديق الاستثمارية المختلفة في الأسهم والسندات والسـلع والعقار وغيره. بالإضافة إلى ذلك منعت البنوك التجارية من فتح فروع لها في غير المنطقة التي توجد فيها، وذلك بسبب أن كثيراً من المنظرين والمحللين الاقتصاديين للأزمة في تلك الحقبة عزا سقوط البنوك التجارية إلى عدة أسـباب، منها: أنها ذات فروع منتشرة، فحيث سقط أو اختل فرع أثر في الفروع الأخرى، وأدَّى ذلك إلى أزمة على مستوى البلـد، فرُئي جعل البنوك التجارية بدون فروع، بحيث تقلص تأثُّر بعضها ببعض.

الأزمة الثانية الكبيرة هي أزمة تسـاقط البنوك التجارية فـي الولايات المتحدة فـي الثمانينيات مـن القرن الماضي، وعلـى وجه الدقة بين عامي ١٩٨٥-١٩٩٢م، فقد سـقط ما معدله ١٠٠ بنك سـنوياً في تلك الحقبة، (من سمات أمريكا كثرة البنـوك التجارية خاصة بعد قرار منـع الفروع؛ ففيها تقريباً عشـرة آلاف بنك مقابل ألف بنك في المتوسط للدول الصناعية، بينما في اليابـان ١٠٠ بنك فقط). وقد كان أهم سـبب في ذلك كثرة السيولة من جراء ودائع الدول البترولية التي تمتعت بفوائض بعد زيادة أسـعار البترول غير المسبوقة في تلك الحقبة، وهو ما جعل البنوك التجارية الأمريكية تقدم كثيراً من التسهيلات إلى دول أمريكا الجنوبية، والتي ما لبثت أن عجزت عن السداد، وهو ما أربك النظام المالي في الولايات المتحدة، ونشأت معه حالة من التساقط البنكي الكبير.

الأزمة الثالثة أزمة الأسـواق المالية للأسهم عام ١٩٨٧م: وقد خسـر مؤشـر (داو جونز) ٢٢٪ في يـوم واحد، كذلك تراجعت مؤشـرات البورصات الأخرى نتيجة تداخل الأسواق المالية، وبلغت خسـائر ذلك اليوم في أسـواق أمريكا وحدها ٥٠٠ مليار دولار. ومرة أخرى أنشأت الحكومة الأمريكية في عام ١٩٨٩م جهازاً خاصاً اسـمه (مؤسسـة تسوية الائتمان) بهدف شراء الموجودات الرديئة وتصفيتها وتحويلها إلى سيولة (حلت الحكومة الجهاز المذكور في عام ١٩٩٦م).

مـن الجدير بالذكر أن التسـعينيات الميلادية التي مضت شـهدت محاولات قوية من النافذين فـي القطاع المالي من الليبراليين الاقتصاديين لإسـقاط قانون الفصل بين البنوك التجارية والاستثمارية.

المشـكلة الرابعة عام ٢٠٠٢م: وهي ما سـميت بفقاعة الإنترنت، ولازمتها أزمة شـركات الاستشـارات وشـركات الحسـابات، وفيها أفلسـت مجموعة كبيرة من الشـركات الضخمة، منها: شركة إنرون، وشركة ورلد كوم وغيرهما، وقد أصدر الكونغرس بعد ذلك نظاماً متشدداً في الجوانب المالية سُمِّي (قانون ساربانس – أوكسلي).

والحقيقة أن الأعوام الماضية منذ بداية السـبعينيات من القرن الماضي إلى يومنا هذا لم يسبق لها مثيل من حيث التقلب في أسـعار السـلع، والعملات، والعقارات، والأسهم، وتكرار الأزمات المالية وشدتها، وقد صاحبها كثير من المنتجات المالية التي تقوم على المجازفة والرهان والحظ، وانتشـرت انتشار النار في الهشيم، وقد ساعد على ذلك عاملان مهمان:

الأول: برامج الحاسـب الآلي التي مكنت المبرمجين من تصميم ما يشـاؤون مـن نماذج رياضية ومالية ومؤشـرات، وتصميم منتجات مالية مبنية عليها، وهو ما جعل المنظر يشبه لعبة أكثر منه اسـتثماراً مالياً ذا مخاطر. فمثلاً: تطور حجم المشتقات المالية من ١٠٠ تريليون دولار عام ١٩٩٨م إلى ٣٣٠ تريليون عام ٢٠٠٥م. ولـك أن تتصور حجم هذا المبلغ وماذا يحدث لو أن الأسـاس الذي قام عليـه انهار، كما هي الحال المشاهدة الآن.

والعامل الثانـي: التطبيق الليبرالي المتطرف في الجهات المشـرعة والمنظمة في الولايات المتحدة، والتي تقدِّس السوق ومعاييره، وترى أنها قادرة على إصلاح الفسـاد المترتب منها تلقائيـاً، بغضِّ النظر عن الأضـرار الاجتماعية، وتقلص من الضوابط المنظمة للعمل ومن التدخل، وقد رأينا ذلك جلياً في الأزمة الحالية وأزمة فقاعة الإنترنت.

البيان: هل حجم المشـكلة الحالية مشـابه للمشـكلات السابقة؟

ذكـرت سـابقاً أن كثيراً مـن الاقتصاديـين – خاصة الأمريكيين – يرون أن مشـكلة الكسـاد العظيم أكبر مشكلة واجهها الاقتصاد الأمريكي، ولا شـك أن مشكلة ولَّدت بطالة لنصف الشعب مشكلة كبرى، إلا أن التداعيات الدولية للأزمة الحاليـة – التي ما تزال فـي طورها ولم تتوقف – في وجهة نظري أكبر من التداعيات الدولية للكسـاد العظيم، والسبب الأول في ذلك: شـدة ترابط وتشابك الأنظمة والاستثمارات المالية المعاصرة بنسبة لا تقارن مع ترابطها في حقبة الكساد العظيـم، والسـبب الثاني: أن الاسـتثمارات الأجنبية داخل الولايات المتحدة في العصر الحديث أكبر بكثير منها في البلد نفسـه في تلك الحقبة. والسبب الثالث وهو الأهم: أن طبيعة المنتجـات المالية الأكثر تداولاً في السـوق مبنية على الديون



والمجازفة القمارية، وهذه لا بد فيها من خسائر كبيرة في حال تزعزع الثقة بها. والمشكلة التي ندعو الله ألا تحدث أن تتفاقم الأزمة – كما ينظر بعض الاقتصاديين في الغرب لتشمل أنواعاً أخرى من الديون؛ كديون البطاقات الائتمانية التي تزيد على ٤٥ ترليون دولار أو ديون الشركات، وإن حدثت هذه فستأكل الأخضر واليابس في اقتصاديات الغرب والبلدان التابعة له.

البيان: هل يُفهم من عرضك السابق أن البنوك الاستثمارية أكثر المتضررين من الأزمة؟

الحقيقة أن الاقتصاد المالي العالمي مترابط إلى درجة كبيرة، وهذا من أوجه خطورته، فحين يورّق البنك التجاري محفظة ديونه على شكل سندات فلا بد من تصنيفه من قِبَل مؤسسات متخصصة تعنى بتصنيف تلك السندات حتى يعرف المشتري مقدار المخاطرة فيها، أضف إلى ذلك أن كثيراً من شركات التأمين تقدم خدمة التأمين على تلك السندات، فإن عجز مشترو العقار عن السداد لزم شركات التأمين السداد. ولذلك رأينا أن أول المتعرين في هذه الأزمة هي البنوك الاستثمارية وشركات التأمين. ولكن هذه السندات لا تشترى فقط من البنوك الاستثمارية، بل تشتريها الصناديق السيادية العالمية، وشركات التأمين، والبنوك المركزية والبنوك التجارية الكبيرة، وصناديق التقاعد وصناديق التأمينات الاجتماعية، وصناديق التحوط العالمية، والصناديق الاستثمارية والمستثمرون الأفراد خاصة كبار العوائل الثرية على مستوى العالم. ومن المهم أن نعرف أن نظرية تفتيت المخاطر للمحافظ الكبيرة تستدعي جعل الاستثمارات في المحفظة منوعة حسب معايير؛ أهمها: نوع الاستثمار ومخاطره وآجاله والعملة والبلد المستثمر فيه. والمقصود بالنوع: هل هو عملة أو سهم أو سند أو مشتقات مالية؟ والمقصود بالخطر: التصنيف الخاص به، وهل هو من فئة (أ) أو (ب) أو (ج) حسب سلم التصنيف المستخدم؟ والمقصود بالآجال: معرفة قصد المستثمر في استثماره، وهل هو قصير الأجل (سنة) أو متوسط الأجل (من سنة إلى ٣) أو طويل الأجل؟ والمقصود بالعملة: أن يعرف المستثمر مخاطر العملة التي يعمل فيها وقوتها الشرائية التاريخية والمتوقعة في فترة الاستثمار، والمقصود بالبلدان: أن يعرف المستثمر المخاطر السياسية وغيرها التي تكون لها صلة بموطن الاستثمار. وكل تلك الجهات التي ذكرت تستثمر في سوق العملات والأسهم والسندات والمشتقات والخيارات قصيرة الأجل وطويلته.

البيان: هل لك أن تضرب لنا أمثلة عن الشركات التي تأثرت؟

لا بد من التوضيح أولاً أن المتأثرين بالأزمة على نوعين: نوع: لا بد أن يفصح عن استثماراته وهذا في الغالب أعلن عن خسارته أو إفلاسه. والنوع الثاني: لا يمكن أن يعلن أو يعرف حجم خسارته؛ بسبب تكتمه على ذلك. ومن أهم هؤلاء: البنوك المركزية، والصناديق السيادية للدول. والسبب واضح للتكتم، فليس هناك مصلحة في الإفصاح عن تلك الخسائر، وأحياناً ليس هناك جهة تراقب تلك المؤسسات. أما الاستثمارات العائلية والأفراد فلا شك أنها ضخمة وخسائرها ضخمة، ولا سبيل إلى معرفة الأرقام بدقة أبداً.

أما أسماء الشركات والبنوك التجارية والاستثمارية التي تأثرت فهي في جدول مرفق، مع إجمالي الأصول التي تديرها. ولا بد من ذكر أن الخسائر المذكورة مع ضخامتها إلا أنها لا تشمل كل الخسائر، فهناك خسائر على البنوك المركزية التي صرفتها خطط الإنقاذ في العالم، وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا واليابان، ولا تقل عن ٣,٥ تريليون دولار. ثم هناك خسائر تكبدها المتعاملون في سوق الأسهم، وهي كذلك بالتريليونات. وهناك خسائر من جراء انخفاض الطلب العالمي على السلع والخدمات في المستقبل القريب، وهذه ستكون ضخمة جداً.

البيان: لو كانت المعاملات إسلامية صرفة في الولايات المتحدة هل كانت الأزمة ستحدث؟

دعني أتحدث بمقدمة مهمة قبل ذلك. لا شك أن الربا جريمة عظيمة، وأن سبب ما جرى في الولايات المتحدة هو الربا، ولكن هناك أسباب أخرى. وأهم تلك الأسباب: تطبيق النظام الليبرالي الاقتصادي الخالي من كل الضوابط، وفتح جميع السبل أمام الشركات والمؤسسات المالية لارتكاب مجزرة اقتصادية عالمية تأثرت منها كل اقتصاديات دول العالم. والسبب الثاني: الكذب في تسويق المنتجات العقارية من قِبَل شركات التصنيف، ثم جريمة توسع البنوك التجارية في التمويل حتى لذوي الملاءة المالية الضعيفة. والجريمة الثالثة: كون السوق يتجه إلى الانهيار ومع ذلك فلم يحذر منه أحد، مع أن البنك المركزي الأمريكي لوحده يعمل فيه قريب من ألف محلل اقتصادي! ثم مع ذلك أين شركات المحاسبة والمراجعة والتدقيق؟ لقد أخفقت في بيان الخطر إلى درجة أن بعض المحللين يتهمها بتضليل المستثمرين، من هنا فقد جاء تكليف وكالة التحقيقات الفدرالية الأمريكية (إف بي آي) بالتحقيق في هذه الأزمة. وقد ذكرت الأنباء الصحفية في منتصف شهر ستة من هذا العام أن هذه الوكالة قد اعتقلت ٤٠٦

أشخاص لهم علاقة في احتيال عقاري بمليار دولار، واعتقلت موظفين من بنك (بيرستيرنز) المتعثر ثبت جرمه في عمليات بيع على صناديق التحوط.

ومـــع ذلك ومع تعاطفنا مع الاقتصاد الإســـلامي فلا بد أن نكـــون منصفين؛ لأن الله أمرنا بذلك، فإن لله ســـنناً في الكون، ومتى ما عارض مجتمع تلك السنن الكونية والنواميس فسيحل به عقوبة مخالفة تلك السنن، فالجشع والمنافسة على الدنيا من أخطر الأدواء التي تصيب المجتمعات والأفراد؛ كما صح ذلك عن خير البشـــر ﷺ. وأسوق مثالاً على ذلك - وهو مثال قريب الحدوث - وهو مشـــكلة سوق الأسهم السعودية التي حدثت العام الفائت، وهناك مثال آخر حدث قبل عشـــر ســـنوات وهو مشكلة أسواق ماليزيا وجيرانها، وكذلك مشكلة ســـوق المناخ في الكـــويت قـــبل عقديـــن من الزمن أو أكثر.. تلك المشـــكلات يوجد فيهـــا التمويل الربـــوي، ولكن هناك أيضـــاً مخالفة صريحة لنواميس الكون والقواعد الاقتصادية المجربة.

ففي الســـعودية حدثت المشـــكلة مع تمويل إسلامي في الغالب لشـــراء الأسهم، ولكن البنوك التجارية أخذها الجشع الشـــديد كل مأخذ، فتركت الحبل على الغارب لكل من يريد التمويل حتى لو بلغ الحد الأقصى الذي وضعه البنك المركزي (مؤسسة النقد العربي الســـعودي)، واحتال كثير من الأفراد على ذلك القيد مدفوعين بالجشع والربح السريع، وتساهلت البنوك في ذلك، وصبت تلك التمويلات في ســـوق الأســـهم الزيت على النار، فأصبح السهم بأضعاف ثمنه الدفتري، ومع ذلك وُجِد من الناس من يزف البشـــرى بأن السوق بخير وأن الاقتصاد متين ولن ينخفض السوق... إلى آخر تلك القصص التي يعرفها أغلب المســـتثمرين في الســـوق السعودية، وبقية القصـــة معروفة. فانهيار الأســـواق لا يلزم أن يكون بســـبب التمويـــل الربوي فقط، بل يكفي أن يضخَّم أصل من الأصول بسعر أكثر مما يستحقه، مع شيء من التسويق الكاذب، وشيء من الاستثمار بطريقة القطيع وبدون تدبر.

ولكن السؤال المهم: هل لو كان الاقتصاد الأمريكي فعلاً يطبق الضوابط المالية الشرعية هل يمكن أن يحدث ما حدث؟ فأقول: إن الاقتصاد الإســـلامي يمنع ما لا يقل عن ٨٠٪ من عمليات الســـوق المالية العالمية، فليس في الشـــرع بيع بالربا الثابت ولا المتغير، ولا بيع للديون المالية المسنَّدة أو المصككـة أو المورِّقة حتى لو كانت من بيع صحيح، ولا بيوع الغرر ســـواء كان ذلك في بيوع الخيارات أو التأمين.

البيان: سمعنا عن منع السلطات المالية البيع المكشوف في أمريكا وبعض دول أوروبا؛ فهل لك أن تحدثنا عنه ولِمَ مُنع؟

الذي مُنع هـــو البيع القصير، وهو مصطلح يعني أن تبيع ســـهماً اليوم بسعر اليوم وتعتقد أن ســـعره سينخفض، على أن تسلمه للمشـــتري بعد مدة محددة، وبعد مرور المدة؛ فإن صدق توقعك اشـــتريت من الســـوق تلك الأســـهم وأعطيتها المشـــتري؛ فتكون ربحت بناء على أن السوق حقَّق لك توقعك، وإن زاد سعر السهم خسرت الرهان، واشتريت الأسهم بالثمن المرتفع. والذي عليه ممارســـات الســـوق أن ذلك البيع ليس المقصود منه الشـــراء الفعلي، بل المراهنة على تغيرات سعره، وليس من مقصود طرفَيِ العقد أن يقبضا الســـهم. أما البيع على المشـــكوف وهو أن تبيع ما لا تملـــك فهو موجود، وحتى في الشـــرع يوجد له نظائر في بيع الســـلم الحقيقي المنطبق عليه الشـــروط الخاصة به، ولكن ها هنـــا لمحة مهمة جداً؛ فكثير من الاقتصاديين يعتقد أن ذلك النوع من البيوع يساهم في رفع كفاءة الســـوق؛ فحيث يعلم كثير من المســـتثمرين عن بعض المعلومات عن الســـوق كلياً وعن الســـهم المعين، فتميل طلبات البيع القصير إلى تشـــكيل ضغط على السعر صعوداً أو هبوطاً. ففي الهبوط يســـمى البيع القصير، وفي الارتفاع يســـمى البيع الطويل. والحقيقة أن هنـــاك فوائد في ذلك، ولكـــن المحك الحقيقي دائماً في الأمـــور ليس مجرد الفائدة بـــل مقارنة الفائدة، والنفع الخاص بالنفـــع أو الضرر العام. وقد بيَّن الله لنا أن الخمر والميســـر فيهما منافع للناس، ومع ذلك فقد حرمهما، وهذا من هذا الباب، فقد تقترت الأسواق الماليـــة من منطقة كفاءة أعلى بوجود بعـــض البيوع التي لها صفـــات المقامرة، ولكـــن أثرها العام وضررها على الســـوق أكثر من نفعها، وهذا هو صميم الفلســـفة الليبرالية عموماً، والاقتصادية على وجه الخصوص، حيث تقدم مصلحة الفرد على مصلحة الجماعة والأمة. ولا شك أن وقف البيع القصير تضررت منه صناديق كبيرة، ولكن ذلك الضرر لا يساوي شيئاً في الأضرار الشاملة للاقتصاد كلياً.

البيان: ما أهم الدروس والعبر من هذه الأزمة؟

هنـــاك دروس عظيمة من هذه الأزمة، ولعلي أشـــير إلى المهم منها، والله المستعان.

١ - ضعـــف البشـــر أمام قوة الله - ســـبحانه وتعالى - وهوان البشـــر عنده، فحيث كانت الدول الغربية ترتع في نِعَم الله صباح مســـاء؛ إذا بهذا الطوفان والزلزال المالي يعصف بها، ولم تنفعها شركاتها ولا أموالها ولا تأمينها على المخاطر

ولا دراسات الجدوى، ولا استشراف المستقبل، ولا الخطط طويلة الأجل ولا قصيرته، ولا ضخ السيولة في البنوك. وإن الخوف على من يدور في فلكها، فكثير من اقتصاديات العالم الإسلامي نكرات تابعة لها، ونعوذ بالله من فتنة يشمل عذابها المسيء والمحسن. ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥].

٢ – الصبر على المنهج الحق ولو كثر المخالفون، أقول ذلك لكل مسلم أمام الكفار، وأقوله لكل مسلم أمام المسلمين الذين يميعون الضوابط الشرعية في الاقتصاد وغيره من مجالات الحياة، وأقولها لمن يسمي الآخذين بالضوابط الشرعية متزمتين وغير عالمين بمجريات السوق. فيجب الصبر على المنهج الصحيح الصريح حتى مع عدم وضوح الحكمة من النهي أو الأمر، فإن التمسك به خير من عصيان الله. ويكفي للتعليل على حرمة الربا وبيع الدَّيْن والقمار ما جرى موعظة وذكرى. وإن على كل قادر أن يبين لغير المسلمين كفاءة النظام الاقتصادي والمالي الإسلامي الذي يحرم تلك الممارسات، وأن السبب الوحيد في ذلك هو متابعة الوحي المنزَّل من السماء، وليس بسبب خبرات علماء المسلمين بالأسواق والمنتجات المالية.

وقد رأينا الأنظمة الأمريكية وغيرها تتجاذبها الأهواء يمنة ويسرة؛ فمن متطرف يميني إلى متطرف يساري، ومن جمهوري إلى ديمقراطي، ولقد شهدت السوق عندهم أزمات مع اختلاف الحزب الحاكم. والعجب من أناس يريدون أن يجربوا في اقتصاديات المسلمين نظريات لم تفلح في وقف النزيف المالي في أمريكا على وجه الخصوص منذ نشوئها! وصدق الله – تعالى – وتقدست أسماؤه: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

٣ – خطورة الشح والجشع وحب الدنيا، فتراكض الشركات والمؤسسات المالية للربح السريع بدون ضوابط أوردها المهالك. وقد تحدثت المجلات والصحف عن حجم الأموال التي يأخذها مدراء الشركات بوصفها حوافز على الأعمال التي يقومون بها بما لا مزيد عليه. وصدق المصطفى الكريم ﷺ: «والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى عليكم أن تُبسَط الدنيا عليكم كما بُسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم»[1].

٤ – أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل الأصعدة، ومن كل أحد. فحتى في الغرب الكافر ترك المؤمنون بتنظيم السوق الحبل على الغارب لليبراليين، فكان ما رأينا من هلاك للحرث والنسل. وإن من الواجب أن يهب المسلمون المؤمنون بقيم الحق والعدل للتصدي لليبراليين في كل جبهة: في الاقتصاد والسياسة والاجتماع والأخلاق. ولقد رأينا سفينة المجتمع الأمريكي تغرق بسبب فئام قليلة من الناس أعماهم الطمع والجشع وتغليب المصلحة الخاصة بهم على مصالح غيرهم من البشر. وإن هناك ضغطاً سياسياً واقتصادياً وأخلاقياً واجتماعياً من فئة تريد تحرير المجتمعات الإسلامية من قيم الفضيلة التي جاء بها الإسلام في رسالته. فما حال الاقتصاديات عندنا لو أعطي هؤلاء الفرصة لذلك، وهي من الضعف كما نعرف، وما حال المجتمعات كذلك؟ اللهم رحماك.

٥ – خطر الاستدانة الكبيرة على الفرد والمجتمع والدولة والدول بل والنظام المالي العالمي، فالاقتصاد الآن يقوم على الديون، وغالب عمليات السوق المالية الآن تقوم على بيوع المجازفة التي تترجم تجوزاً إلى (المضاربة)، وإذا اجتمعت المجازفة مع الديون المتراكمة، وحدث ما لا يحمد عقباه من الأزمات؛ وما يؤدي إليه من انهيار الأسواق نفسياً ومالياً. وإن الاقتصاديات الحالية بحاجة ماسة إلى طرح جديد في النظم المالية وضوابط المعاملات يقوم على العدل والشفافية. وليت المسلمين يكون لهم دور ريادي في ذلك، فإن خسارة العالم مضاعفة بضعف المسلمين وبغياب النهج الإسلامي على كل الأصعدة وخاصة الاقتصاد.

البيان: هل لكم من رسالة توجهونها في ختام هذا اللقاء؟

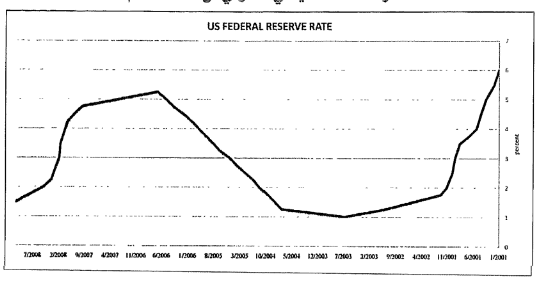
أرسل رسالة واضحة إلى القائمين على الفتوى في البنوك والمؤسسات المالية الإسلامية أن يتقوا الله سبحانه وتعالى، وأن يتوخَّوا الحرص الشديد على تلمس الغايات القصوى من الاقتصاد الإسلامي، وأن يبتعدوا عن التيسير غير المنضبط بضوابط الشرع. وأقترح عليهم بعد ما رأينا من هذه الأزمة أن يعيد من أجاز منهم بعض المنتجات الخاسرة النظر في الأساس الشرعي والمصلحي لتلك المنتجات؛ فقد أسفر الصبح لذي عينين، وأدعو الله لي ولهم أن يبعدنا عن بُهرج هذه الاقتصاديات الزائفة، وأن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه.

(١) أخرجه الشيخان.

م	الشركة	حجم الأصول قبل الأزمة	البيان
١	بنك «نورذرن روك» البريطاني (NORTHERN ROCK)	١٨٦ مليار دولار (٢٠٠٧) northernrock.co.uk	خامس أكبر بنك عقاري في بريطانيا، وأول بنك للتسليف العقاري في بريطانيا تؤممه الحكومة البريطانية في ١٧ فبراير ٢٠٠٨م.
٢	بنك الأعمال «بير ستيرنز» الأمريكي (BEAR STEARNS)	٣٥٠ مليار دولار (٢٠٠٧) finance.google.com	كان يعاني من نقص السيولة ثم اشتراه بنك «جي بي مورغان تشيز» في ١٦ مارس ٢٠٠٨م بمساعدة السلطات الفدرالية.
٣	بنك «يو بي إس» السويسري (UPS)	٣٩ مليار دولار (٢٠٠٧) finance.google.com	في ٢٢ مايو ٢٠٠٨م أصدر أسهماً بقيمة ١٥ مليار دولار ليخفض خسائره في البرايم، بعد أن كان قد أعلن عن خسارته ٣.٥ مليار دولار بالصب برايم في ١ أكتوبر ٢٠٠٧م.
٤	بنك «أليانس آند لايسستر» البريطاني (Alliance لله Leicester)	١٣.٥ مليار دولار (٢٠٠٧) www.alliance-leicester-group.co.uk	أعلن في ١٤ يوليو ٢٠٠٨م أن بنك «سانتاندر» الإسباني يشتريه بقيمة ١.٣٣ مليار جنيه إسترليني (٢.٢٧ مليار دولار) فقط مع زيادة رأسماله بواقع مليار جنيه إسترليني (١.٧ مليار دولار).
٥	شركة «فاني مي» الأمريكية (FANNIE MAE)	٨٨٢.٥ مليار دولار (٢٠٠٧) finance.google.com	وضعتهما وزارة الخزانة الأميركية تحت وصاية الدولة في السابع من سبتمبر ٢٠٠٨م.
٦	شركة «فريدي ماك» الأمريكية (FREDDIE MAC)	٧٩٤.٤ مليار دولار (٢٠٠٧) finance.google.com	
٧	بنك الأعمال «ليمان براذرز» الأمريكي (LEHMAN BROTHERS)	٦٣٩ مليار دولار (٢٠٠٧) finance.google.com	أكبر حالة إفلاس في التاريخ الأمريكي في تاريخه ورابع أكبر بنك استثماري في أمريكا وُضع في ١٥ سبتمبر ٢٠٠٨م تحت حماية قانون الإفلاس قبل تصفيته، واشترى البنك البريطاني «باركليز» أنشطته الأمريكية، في حين اشترى البنك الياباني «نومورا هولدينغ» الأنشطة في أوروبا وآسيا والشرق الأوسط.
٨	بنك الأعمال «ميريل لينش» الأمريكي (Merrill Lynch)	١٠٢٠ مليار دولار (٢٠٠٧) finance.google.com	اشتراه «بنك أوف أميركا» في ١٥ سبتمبر ٢٠٠٨م.
٩	شركة التامين الأمريكية «إي آي جي» (AIG)	١٠٥٠ مليار دولار (Q٢ ٢٠٠٨) finance.google.com	تم تأميمها من قبل الدولة في ١٦ سبتمبر ٢٠٠٨م لتفادي إفلاسها.
١٠	بنك «إتش بي أو إس» البريطاني (HBOS)	١١٣٧ مليار دولار (٢٠٠٧) londonstockexchange.ar.wilink.com	رابع بنك في بريطانيا من حيث الرسملة في ١٥ سبتمبر ٢٠٠٨م اشتراه منافسه بنك «لويد تي إس بي».
١١	بنك «غولدمان ساكس» المستقل (Goldman Sachs)	١١٢٠ مليار دولار (٢٠٠٧) finance.google.com	اضطر في ٢١ سبتمبر ٢٠٠٨م إلى التحول إلى مجموعة مصرفية قابضة، وحصل على تمويل بقيمة خمسة مليارات دولار من الملياردير (وارن بوفيت).
١٢	بنك «مورغان ستانلي» المستقل (Morgan Stanley)	١١٢١ مليار دولار (٢٠٠٦) finance.google.com	اضطر في ٢١ سبتمبر ٢٠٠٨م إلى التحول إلى مجموعة مصرفية قابضة، وفتح رأسماله أمام البنك الياباني «ميتسوبيشي يو إف جي».
١٣	المجموعة الأمريكية «واشنطن ميوتشوال» (Washington Mutual)	٣٤٦ مليار دولار (٢٠٠٦) finance.google.com	سادس بنك أمريكي من حيث الأصول، وأعلنت إفلاسها في ٢٥ سبتمبر ٢٠٠٨م، وقد أغلقتها السلطات الأمريكية ونظمت التحويل الفوري لودائعها إلى منافسها «جي بي مورغان تشيز» مقابل ٩.١ مليارات دولار.
١٤	المجموعة المصرفية والتأمين البلجيكية الهولندية «فورتيس» (Fortis)	١٢١٧ مليار دولار (Q٢ ٢٠٠٨) www.fortis.com	انهارت في ٢٨ سبتمبر ٢٠٠٨م، لكن السلطات في بلجيكا ولوكسمبورغ وهولندا قررت ضخ ما مجموعه ١١.٢ مليار يورو (١٥.١ مليار دولار) لتمويلها مقابل حصص في رأسمال المؤسسة.
١٥	بنك «برادفورد آند بينغلي» البريطاني (Bradford لله Bingley)	١٠٧ مليار دولار (٢٠٠٧) www.bbg.co.uk	تم تأميمه وتصفيته في ٢٩ سبتمبر ٢٠٠٨م، وهو المؤسسة المالية البريطانية الرابعة التي تفقد استقلاليتها منذ بداية أزمة الائتمان الدولية.

١٦	بنك «واكوفيا» الأمريكي (Wachovia)	٨١٢ مليار دولار (Q٢ ٢٠٠٨) finance.google.com	رابع بنك أمريكي من حيث الأصول، اشتراه «سيتي غروب» في ٢٩ سبتمبر ٢٠٠٨م بإشراف الحكومة.
١٧	بنك «غليتير» الآيسلندي (Glitnir)	٣٥ مليار دولار (Q٢ ٢٠٠٨) www.glitnir.is	ثالث بنك في البلاد، والذي عانى من نقص السيولة، وقد أعلنت الحكومة في ٢٩ سبتمبر ٢٠٠٨م شراء ٧٥ ٪ من رأسماله بقيمة ستمائة مليون يورو (٨١١ مليون دولار).
١٨	بنك «هيبو ريل استيت» الألماني المتخصص بالشأن العقاري (Hypo Real Estate)	٥٤١ مليار دولار (Q٢٢٠٠٧) www.hyporealestate.com	أفلت من الإفلاس في ٢٩ سبتمبر ٢٠٠٨م بفضل فتح خط ائتمان بقيمة ٣٥ مليار يورو (٤٧.٣ مليار دولار) بكفالة الدولة بصورة رئيسية.
١٩	شركة التأمين اليابانية «ياماتو لايف» (Yamato Life)	٢.٨ مليار دولار (Q١ ٢٠٠٨) www.yamato-life.co.jp	أعلنت إفلاسها في ١٠ أكتوبر ٢٠٠٨م وهي أول شركة يابانية تعلن إفلاسها منذ عام ٢٠٠١م.
مجموع الأصول		١١٦٣٤.٧ مليار دولار	

سعر الفائدة الاحتياطي الفدرالي من ٢٠٠١ - ٢٠٠٨م



قامت البنوك التجارية بإقراض عملاء منخفضي الملاءة؛ لشراء عقارات بفائدة منخفضة مقابل رهن هذه العقارات.

قامت البنوك التجارية بتجميع هذه القروض الرديئة وتعليبها، وأخذ تصنيفات عالية عليها، ثم بيعها على البنوك الاستثمارية والمؤسسات المالية.

ارتفعت أسعار الفائدة، وهو ما أدى إلى زيادة أقساط القروض على العملاء.

اتضح لدى العملاء أنهم يدفعون أقساطاً عالية على منازلهم، وهو ما أدى إلى تعثرهم أو امتناعهم عن السداد.

بعد امتناع العملاء عن السداد بيعت هذه العقارات المرهونة، وهو ما أدى إلى انهيار أسعار العقار وتعثر مزيد من العملاء.

بعد انتشار خبر تعثر العملاء عن السداد، وانهيار أسعار العقار؛ انخفضت قيمة السندات إلى مستويات متدنية مما أدى إلى حدوث خسائر كبيرة في المؤسسات المالية.

انتشر الذعر المالي، وحدثت مجموعة إفلاسات في البنوك الاستثمارية.

غيَّرت شركات التصنيف تصنيف كثير من الأدوات المالية والمؤسسات المالية.



حدث شح كبير في سوق الائتمان الصرفي. وهو ما جعل البنوك المركزية تتدخل وتدعم السوق وتخفض الفائدة.

موجة من الذعر تسود أسواق الأسهم وانهيار الأسواق العالمية إلى أرقام قياسية.

مزيد من الانهيارات المالية، ومزيد من الجهود الحكومية للإنقاذ.



الآن.. ماذا؟!

عبد الله عيسى السلامة

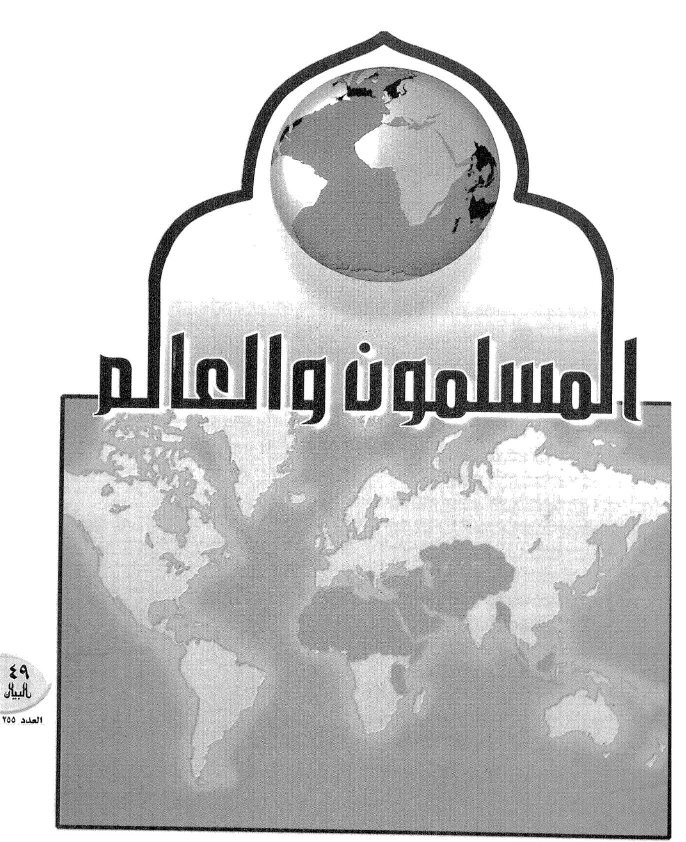
يُقْصَى.. ويُنْسَى، وراءَ السُّورِ.. مَهجوراً!   هَيهاتَ.. أيُّ ظَلامٍ يَأسِرُ النُّورا؟!
كلاَّ.. بَلَى.. كانت الأضلاعُ تَحرسُه   سُوراً، فصارتْ حِرابُ الغاصبِ السُّورا
أنَّى.. وكيفَ.. - وللأقصى بَواسِلُه -   يَهتَزُّ مِنه جَناحُ العِزِّ.. مَكسورا؟!
تَرنو المَجَرّاتُ في خَوفٍ وفي قلَقٍ   مِنْ أنْ يَصيرَ ضِياءُ الشَّمسِ دَيْجورا
تَرتَجُّ كلُّ فِجاجِ الأرضِ شاهِرةً   أصابعَ الحَزْمِ، في الأبصارِ.. تَحذيرا
مَنْ ذا يُفسِّرُ - والأذهانُ عاجِزةٌ -   ما ليسَ يَطلُبُ تَعبيراً وتَفسيرا؟
قد أسلَموه جِهاراً.. دونَما خَجَلٍ   أمِنْهُمُ يَرتَجي نَصْراً.. وتَحريرا؟
هَيهاتَ.. دَعْ، ودَعي، هذا، وذاكَ، فَما   يَحتاجُ ما فعَلوا جِبْراً.. وتَجْبيرا
الآنَ.. ماذا؟ سؤالٌ مُعْجِزٌ وَجِلٌ   يَدورُ بَينَ عُيونٍ مَلّتِ الزُّورا
الآنَ.. ماذا؟ ولَو جُنَّ السؤالُ أتى   (مَن ذا؟ وكَمْ قَبَضَ الجاني.. دَنانيرا)؟
الآنَ.. ماذا؟ ولَو جُنَّ الجَوابُ كَما   جُنَّ السؤالُ، لَسَمَّى (السادةَ البُورا)
دَعْ (ذا، ومَنْ ذا، وماذا..) كلّها عَبَثٌ   سِرْ في النَّفيرِ، وإلاّ.. فاخْرُسِ العِيرا
أوْ قَرَّ في الخِدْرِ! مَهْ.. يا أنتَ.. يا عَجَباً..!   حتّى القَواريرُ ما عادتْ قَواريرا
إنْ لَمْ تَكنْ وجَعَ الدنيا.. ومِحْنَتَها   فانْهَدْ إلى الدَّهرِ، صُغْ مِنْه دَهاريرا
وهُبَّ جَيشاً وجُمهوراً، إذا قَعَدتْ   جُيُوشُ قومِكَ، واحتَجَّتَ الجَماهيرا
أحْيِ الحَياةَ لِمَوتَى لا حَياةَ لَهمْ   غَيرُ الضَّنى.. ورقابٍ تَحْمِلُ النِّيرا
مَنْ كان يُقْصيهِ عنْ أقصاه سَيْلُ عَمىً   فَمَنْ سَيُقْصي الصَّناديدَ المَغاويرا؟
مِنْ ها هُنا يَثِبُ التاريخ وثْبَتَه   يُلقي الذَّرائعَ أرضاً.. والمَعاذيرا
يُعيدُ نَسْجَ ثِيابِ العِزِّ مُحْكَمةً   تَنْفي الأباطيلَ عَنها.. والأساطيرا
مِنْ ها هُنا، من ثُغورِ الأرضِ، يُرضِعُها   ضَرْعَ الحَياةِ - لِكَسْرِ الذلِّ - إكسيرا
مَن قالَ: (نحنُ، غَداً، يَنْقَضُّ جَحْفَلُنا)؟   كَلاَّ.. فَمَنْ يُؤنِسُ الغِيدَ المَعاطيرا؟
إنّ (التّهامُسَ!) بالتَّحريرِ مَهْلَكَةٌ   تُردي الليوثَ، وتَجْتالُ النَّحاريرا
تُعَدّ ضَرْباً مِن الإرهابِ (نِيّتُنا!)   في أنْ نُفكّرَ بالتَّحريرِ.. تَفْكيرا!
لا بأسَ في أنْ نَرى (البازارَ) مُنعَقِداً   لأرضِنا، ولَنا، بَيْعاً، وتأجيرا
لا بأسَ في أنْ نَرى مَنْ باعَ قِبْلَتَنا   في السوقِ، يَهْذي بِردِّ الحَقِّ، مَخْمورا
لا بأسَ في أنْ نَرى حَمْقَى، يُحَرِّكُهمْ   ذِئبٌ.. فنَسمَعَ تَهليلاً وتَكبيرا
لا بأسَ.. مَن قالَ: إنّ اللغْوَ ليسَ لَه   سُوقٌ لَدَينا.. (رَعايا!)، أو مَخاتيرا
بالحِكمةِ، العَزمُ يُمْلي حَقّ صاحبِه   أو يَرقُدُ الحَقُّ في القِرطاسِ مَسطورا
فَذاكَ يَبْعَثُ في شَمْسِ العُلا وهَجاً   حَنَّتْ إليهِ.. ويُغْشي نُورُه الطُّورا
يَهْمي سَناهُ على الأقصَى شَذاً، وبهِ   تُحْيي السَّرائرُ بالنُّورِ الأساريرا

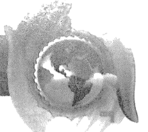
- هدم الأقصى خطوة خطوة
د. يوسف كامل إبراهيم

- كيف اغتيلت دولة زنجبار المسلمة وسرّ يقظة شعبها بعد حين؟
أحمد الطنيخي

- المحق
د. يوسف بن صالح الصغير

- مرصد الأحداث





هدم الأقصى خطوة خطوة

بين التنظيمات الإرهابية والجهات الرسمية



د. يوسف كامل إبراهيم(*)

تصاعدت في الآونة الأخيرة الاعتداءات اليهودية على المسجد الأقصى المبارك من قِبَل الحركات الصهيونية الطامعة بالمسجد، وكذلك من قِبَل الحكومة. وهذه الاعتداءات بدأت تأخذ اتجاهاً متصاعداً، في الوقت الذي بدأ فيه العد التنازلي للوصول إلى هدم الأقصى أو أجزاء منه تمهيداً لتقسيمه وإعادة البناء من جديد بما يتيح للدولة الصهيونية السيطرة والهيمنة على المسجد الأقصى، كما حصل مع الحرم الإبراهيمي.

يذكر أن المسجد الشريف في القدس كان قد تعرّض لأكثر من محاولة للاعتداء؛ فقد أدين (يهودا عصيون) من سكان مستوطنة (عوفرا) بمحاولة نسف المسجد الأقصى وقبة الصخرة، وذلك في إطار نشاطه ضمن التنظيم اليهودي السري في مطلع الثمانينيات من القرن الماضي، وحُكِم عليه بالسجن لسبع سنوات، وهو الآن حر طليق يرأس مجموعة يطلق عليها حركة (الخلاص)، ويعتبر من أبرز الذين يعدُّون لنسف المساجد في ساحة الأقصى، وقد أدلى منذ إخلاء سبيله بتصريحات أكد فيها عزمه على مزاولة نشاطه لإعادة «جبل البيت» إلى اليهود، كما يقول.

ومن أبرز النشطاء أيضاً والذين يعدّون للاستيلاء على الحرم القدسي وإقامة كنيس يهودي عليه (رافي سلمون)، الذي كان قد فتح النار على عمال عرب على مفرق (جيها) شمال تل أبيب في تشرين أول/ أكتوبر عام ١٩٨٩م. وعندما وقعت المذبحة داخل المسجد الأقصى في أكتوبر من عام تسعين في القرن المنصرم؛ أكد شهود كثيرون أن يهوداً بزيٍّ مدني شاركوا قوات الشرطة في عملية إطلاق النيران، التي أوقعت زهاء عشرين شهيداً صدوا بأجسادهم اعتداء لأفراد هذه المجموعات الذين حاولوا دخول المسجد، وكان ذلك ثامن اعتداء يتعرض له الأقصى منذ الاحتلال الصهيوني في عام سبعة وستين من القرن العشرين.

• محاولات هدم الأقصى:

تعرض المسجد الأقصى للكثير من الاعتداءات التي هدفت إلى هدمه أو تقسيمه بين المسلمين واليهود؛ فقد وقع الاعتداء الأول على المسجد الأقصى في تاريخ ١٩٦٩/٨/٢١م، عندما اقتحم شخص يدعى (مايكل دينس روهان) وهو أسترالي الجنسية حرم المسجد، وأضرم النيران فيه، وتبين أنه كان من أعضاء كنيس تل أبيب. ووقعت المحاولة الثانية في عام ١٩٧٤م؛ عندما دعا (يوئيل لرنر) من المدرسة الثانوية الدينية أتباعَه إلى التمرد لمنع الانسحاب الصهيوني من الضفة الغربية، وعثرت الشرطة في منزله على وثائق ومخططات تشرح كيفية منع الانسحاب، وذلك من خلال نسف مسجد قبة الصخرة.

وكان قد كُشِفَ في عام ١٩٧٨م عن تنظيم سري يحمل اسم (خلاص إسرائيل) ومنظمة حماية يهودا التي حددت هدفاً لها بتحويل دولتهم وإخضاعها للشريعة اليهودية، ووضع زعماؤها مشروعاً أساسه نسف المساجد في ساحة

(*) أستاذ جامعي - فلسطين - غزة.

الأقصى الشـريف. كما ضُبِطت بحوزتهم مـواد متفجرة وألغام، وذلـك بعد أن كانوا قد جالوا فـي الحرم ووضعوا مخططاتهم لنسـفه. وفي عام ١٩٨٠م جـرت محاولة ثانية من جانـب زعيمهم (يوئيل لرنر) الذي يطلقون عليه اسـم (إلياهو)، والذي أنشـأ حركة شبيبة تحت اسم (حشمونئيم) وضعت نصب عينيها السـيطرة على أرض المسجد الأقصى وإحالة السيطرة عليه إلى اليهود.

ووقعت المحاولة الخامسـة في الحادي عشر من نيسان فـي عام ١٩٨٢م؛ حيث اقتحم شـاب يهودي أمريكي يدعى (غودمان) مسـجد قبة الصخرة وهو يرتدي بذلة عسكرية وبحوزتـه بندقية من نوع (إم - ١٦) وأطلق النيران، فأصاب شـرطيين أحدهما عربي والآخر يهودي، ومن ثَمَّ تحول إلى مسـجد عمر وأطلق النار في داخله، وأسـفر اعتداؤه عن استشهاد مواطن عربي. وأما المحاولة السادسة فوقعت ليلة ١٩٨٤/١/٢٦م، عندما تسلق اثنان من «عصابة لفتا» وهي فرع من التنظيم السري اليهودي الإرهابي سورَ القدس وبحوزتهما كميات كبيرة من المتفجرات والقنابل اليدوية بهدف نسـف مسـجد قبة الصخرة. وقد ضبطهم حرس المسجد، وألقت الشـرطة الصهيونية القبض عليهـم قبل لحظات من تنفيذ جريمتهـم، وبينت التحقيقات لاحقاً أن لأفراد هذه العصابة علاقات بمجموعات نصرانية متطرفة من الولايات المتحدة تعيش هناك وتدعم الفكر الصهيوني - اليهودي.

وفـي عام ١٩٨٤م، كشـف (يهودا عصيـون) أحد قادة المتطرفين أن أعضاء من هـذه المجموعات زُوِّدوا بصور من الجو للحرم القدسـي الشريف وبأسلحة كاتمة للصوت لقتل الحراس، وأجهزة تفجير لنسف قبة الصخرة.

• كنيس يهودي تحت الأقصى:

أكد الشـيخ رائد صلاح أن الحفريـات التي بدأت تحت المسجد الأقصى عام ١٩٦٧م لا تزال متواصلة حتى اليوم بعد إقامة كنيس يهودي تحت المسجد الأقصى مؤلف من طابقين للرجال والنساء، شارك بافتتاحه رئيس الدولة موشيه كساب.

وكشـف قائلاً: الحفريات قد تتشعب في أكثر من اتجاه تحت المسـجد، وفي أعماق مختلفـة. وقد بدأت الحفريات تتجه في اتجاهات مختلفة بعيدة عن المسجد، حيث يقومون


أعمال حفر تحت المسجد الأقصى

بأعمـال حفر تربط بين الحفريات الموجودة تحت المسـجد وبـين حي (سـلوان) وهو حي مجاور للمسـجد، وحفريات طويلة تقام تمتد من تحت الحفريات الموجودة تحت المسجد حتى تصل مباني شخصيات صهيونية رئيسية في الكنيست والحكومة، فضلاً عن وجود شـخصيات يهودية تقوم بأداء طقوسها داخل هذا الكنيس.

ويشـير الشيخ صلاح إلى أن بناء الكنيس اليهودي تحت الأقصى جاء وفق ما يؤمنون بـه بناءً على أرضية تاريخية، وهي وجود ما يُعرف بهيكل أول أو هيكل ثانٍ؛ لذلك بنوا هذا الكنيس لإحياء ذاكرة الهيكل الأول والهيكل الثاني.

وكان الشـيخ صلاح قد عرض بداية العـام صوراً في شـريط فيديو تؤكد إقامة ذلك البناء الـذي يمتد بأعماق ومسافات مختلفة تحت الأقصى ويصل إلى بُعد ٩٥ متراً من قبة الصخرة، وتدعي الدولة الصهيونية أن البناء ليس كنيساً، وإنما هو بناء أثري اكتشف تحت أرض المسجد الشريف.

• هدم مقبرة مأمن الله كمَعْلَم من معالم القدس:

مقبرة (مأمن الله) هي أقدم وأكبر مقبرة إسـلامية في القدس وتضم عدداً من قبور صحابة النبي ﷺ. وقد اختفى معظمهـا بعد أن بنى الصهاينة على أجزاء كبيرة منها فنادق وشـوارع. وأما الجزء المتبقي فهـو الآن أيضاً عرضة لبناء مشـروع صهيوني آخر، فالمقبرة تقع غرب المسجد الأقصى المبارك بجـوار مبنى تاريخي هو مبنى المجلس الإسـلامي الأعلـى الـذي كان عبارة عن مقر الحاج أمين الحسـيني. وكانت مسـاحة هذه المقبرة تصل إلـى ٢٠٠ دونم حتى عام ١٩٦٧م، وكانت تحوي ٧٠ ألـف قبر. وأما الآن فقد وجدت الشـركة ٣٠٠ قبر فقط، وأما البقية فقسـمٌ منها بني عليه

فنادق صهيونية، وقسم آخر شُقَّ عليه شارع سيارات، وقسم عليه موقف سيارات صهيونية، وبقي من المقبرة ١٩ دونماً، وبقية المقبرة وقعت عليها الاعتداءات منذ عام ١٩٦٧م.

مجموعة من الصحابة الذين لا نعرف عددهم دفنوا فيها، ودفن بعد ذلك أجيال من التابعين وأجيال من أتباع التابعين، وأكثر من دُفِن من المسلمين في هذه المقبرة هم جنود صلاح الدين الأيوبي الذين رافقوه في مسيرته التي تتوجت بتحرير القدس.

• رئيس الدولة الصهيونية يدعو إلى تقسيم المسجد الأقصى:

لم تقتصر محاولات الاعتداء على المسجد الأقصى على الجهات الصهيونية الإرهابية الدينية، وإنما اشترك فيها جهات رسمية على رأسها رئيس الدولة الصهيونية (موشيه كتساب) الذي دعا إلى تقسيم المسجد الأقصى بين المسلمين واليهود، والسماح لليهود بإقامة شعائرهم الدينية داخل الحرم القدسي. وقال في تصريحات له للإذاعة الصهيونية مؤخراً: (إنّ دخول المسلمين واليهود إلى الحرم القدسي لا بد أن تتم في نهاية الأمر وفقاً لنظام متفق عليه بين الأطراف المعنية، يسمح لكافة المسلمين واليهود بأداء شعائرهم الدينية في هذا المكان المقدس على غرار الإجراءات المتبعة في الحرم الإبراهيمي في مدينة الخليل).

• الذين يخططون ويعملون على هدم الأقصى:

لقد اشتدت حملات الاعتداء على المسجد الأقصى من خلال الكثير من الجهات والهيئات الصهيونية، حيث تقوم أكثر من ١٣ منظمة يهودية تنحدر في غالبيتها من منظمات يهودية متطرفة بمجموعة من الخطوات تمهد للاستيلاء على الحرم القدسي وذلك تمهيداً لتحويله إلى كنيس يهودي وإقامة الهيكل الثالث مكانه، بذريعة أن مسجدي الأقصى وقبة الصخرة أقيما في موقع الهيكل السابق. وتختلف هذه المجموعات والتنظيمات في انتماءاتها الدينية والسياسية، ولكنها تتفق في الهدف الساعي إلى هدم الأقصى والسيطرة عليه كما فعلوا في الحرم الإبراهيمي في الخليل. وتتوزع هذه المجموعات على اثنتي عشرة فرقة ومدرسة دينية تستوطن جميعها قلب البلدة القديمة في القدس، وغالبيتها اتخذت مقارَّ لها في مبانٍ ملاصقة للحرم القدسي ومطلة على ساحاته، ومنها:

- جماعة الهيكل «مساد همقدا»: شركة مشتركة لشخص يهودي يدعى (ستانلي غولدفوت) من أعضاء عصابة إليحي سابق، يقطن في الحي الألماني في القدس الغربية، ومجموعة من النصارى الأجانب الذين يطلقون على أنفسهم «النصارى الصهيونيين». ويؤمن هؤلاء بأن اليهود سيعترفون بالنبي عيسى عندما يُشيّد الهيكل الثالث. ومن وجهة نظرهم فإن نجاح الدولة الصهيونية في بناء الدولة اليهودية هو إثبات أن المسيح يستعد للعودة. وتقدم هذه المجموعات أموالاً طائلة للجماعات اليهودية التي تهتم بأمر الهيكل في الأراضي الصهيونية.

- مدرسة توراة الهيكل «كولال توراة هبايت»: وهي مجموعة منافسة لمخون همقداش، ذات ميول دينية مفرطة في تطرفها، وتهتم حالياً بصناعة وعرض «أواني الهيكل»، وما يزال نشاطها نظرياً حتى الآن.

- أمناء جبل الهيكل «نئمني - هبايت»: هؤلاء تحرِّكهم دوافع «قومية» محضة وليس اعتبارات دينية فقط، ويريد أتباع هذه المجموعة التي يترأسها (غرشون سلمون) إقامةَ الهيكل الثالث والمحكمة العليا وطوابين الجيش الصهيوني داخل المسجد الأقصى المبارك.

- حركة إقامة الهيكل «هتنوعا هلكينون همقداش»: من أبرز نشطائها الحاخام (يوئيل لرنر) الذي يتزعم حركة المعهد من أجل توراة إسرائيل (ما تي همخون لماعن توراة يسرائيل)، ودار النشر (سنهدرين)، ويصدر كتيباً يحمل اسم (تكديم)، وهدفه النهائي إقامة الهيكل داخل ساحة الأقصى. ويتركز نشاط هذه الحركة في هذه المرحلة على تنظيم الرحلات اليهودية داخل المدن القديمة والحرم القدسي وذلك بالتنسيق مع الشرطة.

- المجموعات الدينية المتزمتة «هكفوتسوت هحرديوت»: غالبية حاخاماتها يحظرون على أتباعهم دخول المسجد الشريف، وذلك لقدسية الأماكن وعدم توفر أمكنة التطهير، مثل: رماد البقرات الحمراوات، وأيضاً للشكوك حول الموقع الدقيق للهيكل. وكان أحد أتباع هذه المجموعات اقتحم المسجد





قبل أربع سنوات خلال عيد العرش اليهودي، وأجرى (طقوس الطهارة) في داخله دون أن تمنعه الشرطة الصهيونية.

- جمعيـة آل جبل اللـه «أغودات ال - هـار أدوناي»: تأسسـت في عام ١٩٧١، وتؤطر في داخلها نشطاء المدرسة الدينية (وكاز هراب عطيبـرات كوهنيم)، والمدارس الدينية «بني عقيبا هسـيوري حيون»، ومن بين قدامى مؤسسـيها قادة في حركة (غوش إيمونيم)، من أمثال: مناحم بن يسار، الحاخام يوئيل بن نون، ويسرائيل مداد.

- مدرسـة الكهنة لتعليـم المقدسـات اليهودية «كولال هكوهنيم لليمود هكودشيم»: يتزعمها الحاخام (رسوفسكي)، تتخذ من قلب الحي الإسـلامي مقـراً لها، وذلك في كنيس يحمل اسم كنيس (مناحيم حيون)، وطابعها ديني متطرف.

- معهـد الهيكل (مخون همقـداش): يتزعمها الحاخام (إرئيل) الذي تزعم المدرسـة الدينية في مستوطنة (يميت) في سـيناء قبل الانسحاب الصهيوني منها، وشاركه في ذلك (موشـيه نايمان) الرجل الثاني في حركـة (كاخ) العنصرية التي أسسـها في حينه الحاخام العنصـري (مئير كاهانا). ويهتم هذا المعهـد بصناعة وعرض أوانـي الهيكل وإجراء البحوث الأكاديمية حـول أمور تتعلق بإقامة الهيكل، ويعكف هذا المعهد منذ سـنوات على إنجاب بقرة حمراء صهيونية المنشأ كي «يتم استخدام رمادها كما كان في الماضي لتطهير اليهود وصناعة الشـموع المقدسة»، ويؤيد أتباع هذا التوجه إزالة المساجد الإسلامية مما يسمونه (جبل الهيكل).

- رحلات جبل البيت م. ض «سـيوري هار هبايت باعم»: وهي شـركة فرعية تابعة لحركة إقامـة الهيكل، وقد بدأت تنشـط بداية عام تسعين، وهي تهتم بترتيب رحلات تعليمية موجهـة في داخل الأقصـى وفي محيطـه؛ خاصة لليهود المتدينين من خارج دولتهم.

- مقر النشاط من أجل جبل البيت «مطية هيعوله لعنيان هار هبايت»: وهي محاولة فشـلت قبـل عامين في توحيد جميع الفئات آنفة الذكر، والتي تهتم بمسألة الحرم القدسي «هار هبايت»، وهي محاولة كانت قد فشلت في توحيد جميع المجموعات السابقة في إطار واحد.

- المدرسـة الدينية «عطيرت كوهنيم يشـيفات عطيرت كوهنيم»: مهمتها إعداد وتأهيل الحاخامات الذين سيعملون داخل الهيكل عند إقامته، يتزعمها الحاخام (شلومو إفينار)، وهو منحدِر من مجموعة ترفض دخول الساحة الشريفة في المرحلة الحالية قبل قدوم المسيح المخلص، ولذلك تهتم حالياً بشـراء الأراضي والبيوت والاسـتيلاء على المباني العربية بشتى الطرق والأساليب في البلدة القديمة، خاصة في الحي الإسلامي، ومن ثَمَّ تقوم بتسجيل ملكيتها بأسماء يهودية.

- جمعية جبل البيت «إغودات هار هبايت»: حركة صغيرة يتزعمها (دافيد ألبويم) مشـهور في مجال النسيج وصناعة ملابس الكهنة، ويشاركه في ذلك المحامي شبتاي زخاريا.

- نشطاء مستقلون بارزون: وهم حاخامات تبوَّؤوا مناصب عليا، من أمثال: الحاخـام (شلومو غورون) وقـد توفـي، و (إلياهو)، و (لئور)، و (كورون)، وكل منهم يجمع حوله سلسلة من النشاطات. وكان قد سبق للحاخام (غورون) أن نشر بحثاً وتشريعاً يهودياً فنّد فيه مواقف الحاخامات الذين يحظرون على أتباعهم دخول منطقة الأقصى. وعمل الحاخام (غورن) في سـنواته الأخيرة في مدرسـة (هايدار) المدينة المتاخمة للأقصى الشـريف، ويؤيد زميله الحاخـام (موردخاي) في المجلس الأعلى للحاخامات إقامة كنيس يهودي داخل ساحة الأقصى بشكل فوري، ويحظى موقفه بتأييد الحاخام (دوف ليثور)؛ وهو من كبار حاخامات مستوطنة كريات أربع، وترأس مدرسـتها الدينية. ويرى الحاخام (زلمـان كورن) أن الهيكل الثاني كان من الناحية الشـرقية وليست الغربية لمسجد قبة الصخرة، والتـي كان فيها قدس الأقداس، وهذا الوضع من وجهة نظره يتيح لليهود دخول المناطق الجنوبية والشـمالية دون أن تكون هناك موانع دينية.





كيف اغتيلت دولة زنجبار المسلمة

وسرُّ يقظة شعبها بعد حين؟

أحمد الطنيخي
ahmedtenikhy@yahoo.com

ألف عام أو أكثر عاشتها زنجبار دولة مسلمة بعد أن دخلها العرب المسلمون ومعهم دينهم الإسلامي الحنيف بأنواره وحضارته ولغته العربية، فصنعوا منها لؤلؤة لامعة في جبين إفريقية، وصارت مركزاً تجارياً دولياً مهماً، وكانت تبسط نفوذها القوي على أرجاء شرق افريقية بأسطولها الكبير الذي وصل في رحلاته إلى الهند وبلاد الشمس المشرقة في الشرق، ومرسيليا والبندقية في الغرب حتى عام ١٩٦٤م، فانتهى الوجود العربي بمأساة(*).

طرح علماء الدين في زنجبار الإسلام حلاً سياسياً في الإقليم، كما أوصى مؤتمر مستقبل الإسلام في إفريقيا الذي عُقد عام ٢٠٠٠م، بضرورة مخاطبة منظمة «العواصم والمدن الإسلامية» لضمّ مدينة زنجبار وغيرها من المدن الإسلامية الإفريقية التاريخية لصيانة آثارها والجوانب المعمارية والأثرية التي تموج بها.

ونحن هنا نلقي الضوء على إقليم زنجبار وموقف المسلمين المقيمين داخل هذا الإقليم، والمآسي التي تواجههم من قِبَل التيار التنصيري المدعوم من الغرب في محاولة للقضاء على الوجود الإسلامي المتصاعد في شرق أفريقيا.

نبذة تاريخية:

فزنجبار جزيرة مسلمة تقع في شرق أفريقيا على هيئة عدد من الجزر في المحيط الهندي قبالة تنزانيا، وتبعد عن الشاطئ الأفريقي قرابة ٣٥ كيلو متراً، وأكبر جزرها جزيرتا «زنجبار» و «بمبا» والباقي جزر صغيرة تتوزع حول جزيرة بمبا.

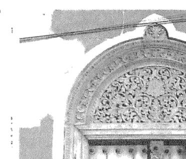
وقد دخل الإسلام أرض زنجبار منذ القرن الأول الهجري، ثم حكمها العُمانيون قرابة ألف عام، قبل أن يتم ضم الجزيرة قسراً بمعاونة الاستعمار مع منطقة تنجانيقا عام ١٩٦٤، ليتم تشكيل ما يسمى الآن بدولة (تنزانيا).

والآثار العمرانية الاقتصادية والإسلامية في زنجبار ما زالت،

(*) انظر مجلة (الحج والعمرة)، بتصرف العدد (٦١) لشهر رجب ١٤٢٧هـ.



شـــاهدة على الأخوة الضاربة بجذورها في أعماق التاريخ بين الأرضين العمانية والزنجبارية، ومن المؤســف جهل الكثير من أبناء الإســلام بتاريخ وموقع الجزيرة[1].



تشــرفت زنجبار بنــور الإســلام عن طريــق الهجــرات العربية والشيرازية إلى شرق القارة الأفريقية في نهاية القرن الأول الهجري، يوم أن قام (الحجاج بن يوسف الثقفي بمحاولة ضم عمان إلى الدولــة الأموية، وكان يحكم عُمَان آنذاك الأَخَوان: (ســليمان وســعيد ابنا الجلندي) وقد امتنعا على الحجاج، فأرسل الحجاج إلى عُمَان جيشاً كبيراً لا حول لهما به، فآثرا السلامة وخرجا بمن تبعهما من قومهما إلى (بر الزنج) شرق أفريقيا وهي ما يعرف اليوم بـ (زنجبار) واســتدل المؤرخون من خلال هذه الحقيقة التاريخية على أن الوجود العربي في (زنجبار) ســبق ظهور الإسلام؛ لأن رحيل حاكمي عمان إليها بعُدّدهم وعتادهم لا بد أن يستند إلى وجود سابق لهما يأمنان فيه على حياتهما وأموالهما وذويهما.

الحكم العلماني والتدخل الغربي:

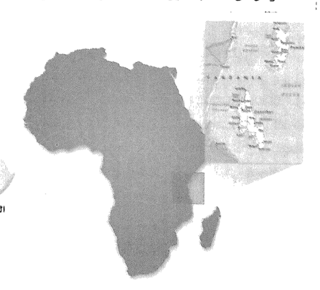
بعد هــذه الهجرة التي قام بهــا حاكما عمان بدأ الوجود العماني في الجزيرة يتوطد أكثر فأكثر حتى أصبح ولاة زنجبار وجزرها تابعين لحكم أئمة عمان، إلى أن جاء عهد (الســلطان ســعيد بن ســلطان ابن الإمام أحمد البوســعيدي) الذي فتح لزنجبار صفحة ناصعة في التاريخ، ورغم ما حققه (الســلطان ســعيد) من تقدم وازدهــار لزنجبار إلا أنــه زرع بذور ضياع هذه الجزيرة من يد العرب والحكم الإســلامي دون أن يدري؛ وذلك بعــد أن وافق على التعاون مع عدد مــن الدول الغربية ومنها أمريــكا وبريطانيا في المجال التجــاري، وكان للإنكليز النصيب الأكبر في الســيطرة على اقتصــاد الجزيرة أوصلهم إلى الســيطرة على أمورها سياسياً، بل رفع علمهم عليها عام ١٨٤٣ في ظل حكم السلطان (سعيد البوسعيدي) إلى أن أعلنت بريـطانيــا الوصـاية على الجـزيرة في نوفمبر عـام ١٨٩٠ في عـهد (السلطان علي بن سعيد). ولم يكتفِ الغرب بذلك، بـل مـدت أمـريكا ذراعـها فـي إدارة البلاد، واســتمرت هذه الوصاية حوالي ٧٠ عاماً، وعنـدما أرادت بريـطانيا الانسحاب قـامت كعادتها بترتيب خطة تســتطيع بها البقاء الفعلي بعد خروجها ظاهريــاً، فكانت المؤامرة التي دبرتها للإطاحة التامة بالحكم العربي الإسلامي الذي تم عام ١٩٦٤م.

فرِّق تسد والانقلاب المأساوي:

كانت بريطانيا قد بدأت في تنفيذ سياســة استعمارية شــهيرة هــي سياسة (فرق تسد) فعمدت إلى تكوين حزبين سياسيين يفرِّقان بين المسلمين من أصل عربي والمسلمين من أصـل «أفريقي وشيرازي» تمهيداً لحرب أهلية تطيح بالعرب المســلمين وحكمهــم، وبالفعل بدأت المذبحة حيث ســادت الفوضـى، وقام بعض المأجورين من الأفارقة والشــيرازيين بهجوم شــامل على العرب، وانتهى الأمر باستشهاد أكثر من عشرين ألف عربي.

بعد المذبحة تولــى الحكم (عبيد كرومــي) الذي حكم زنجبــار باعتبارهــا تابعة لاتحاد تنزانيا الــذي أُعلن عقب الانقلاب، وتكوَّن من زنجبار وتنجانيقا، مع توســع النشاط التنصيري، حتى أصبح في البلد ١٠٠ كنيســة ولم يكن عدد النصارى يتعدى ٣٪، وصــار اقتصاد البلاد بأيديهم وكذلك الوظائــف الحكومية المرموقة، وأصبحت زنجبار تحت وطأة الحكــم العلماني الذي انتهجته تنزانيا مما أضعف كثيراً من معرفة الأجيال الجديدة بتاريخها وإسلامها.

ولعلَّ من الصعب تخيُّل ما حدث للعرب المســلمين على



(١) أرشيف موقع وكالة الأخبار الإسلامية – ٥ يناير ٢٠٠٥م.

يد مسلمين مثلهم بعد أن عاشوا سوياً قرابة مائة عام يربط بينهم عامل واحد هو الدين يرفعونه فوق كل اعتبار، لكن بالنظر إلى الأسباب التي رسمت هذه الواقعة، فإننا نجدها تعود إلى أسباب خارجية متمثلة في النشاط التنصيري الذي عمل على إثارة النعرة العنصرية بين المسلمين خاصة بعد أن أشاع الاستعمار أن العرب كانوا من تجار الرقيق في تجاهُل للاتفاقية التي وقَّعها (السلطان سعيد بن سلطان) مع بريطانيا لإلغاء هذه التجارة التي كان يقوم عليها الغزو الغربي، ومطامع دول الجوار وخاصة كينيا وتنزانيا في ضم زنجبار إليها واستقطاعها من حكم الدولة العمانية، بجانب رغبة الدول الغربية في تقويض الإسلام في زنجبار وخاصة نظام الحكم؛ لأنها كانت بوابة أفريقيا الشرقية ومنها دخل الإسلام لأغلب الدول الأفريقية الشرقية والوسطى.

أما الأسباب الأخرى فهي أسباب داخلية تمثلت في أخطاء سلطان زنجبار في سياسة حكمه للطوائف؛ حيث فتح باب التنصير دون رقابة، فتغلغل وشوَّه تاريخ العرب؛ إلى جانب توثيق العائلة الحاكمة لعلاقاتها ببريطانيا منذ عهد (السلطان سعيد بن سلطان) مما أثار سخط المسلمين الأفارقة الذين شعروا بأن العرب هم من جلب الاحتلال الغربي إلى بلادهم.

بعد التعرُّف على طبيعة الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية في زنجبار، نشير إلى ملاحظة غاية في الخطورة، وهي أنه في الوقت الذي يتعمد الإعلام الغربي اتباع سياسة التعتيم على ما حدث وما يحدث في زنجبار من انتهاكات واعتداءات ضد المسلمين، نجد أن الإعلام العربي الإسلامي يتجاهل - بتعمد أو بدونه - إلقاء الضوء على هذه المجازر والانتهاكات التي تتكرر بشكل مستمر في زنجبار المسلمة، فعادةً مَّا تُستخدم الانتفاضة الفلسطينية للاستدلال على انحياز الخطاب الإعلامي الغربي ضد قضايا العرب والمسلمين، ويُفَسَّر في العادة هذا الانحياز على أنه نتيجة الهيمنة الصهيونية على وسائل الإعلام الغربي، غير أن هذا الانحياز لا يقف عند حدود الصراع العربي الصهيوني؛ فالخطاب الإعلامي الغربي يكاد يتبنى النهج نفسه في كل قضية طرفها عرب أو مسلمون، وما حدث مؤخراً في زنجبار شاهد آخر على هذا الانحياز؛ فهي جزء من ذلك الشريط العربي الممتد على الساحل الشرقي من القارة الأفريقية، يرتبط معظم سكانها بصلات قربى ونسب مع عرب الساحل الجنوبي من الجزيرة العربية، غير أنها جزء يتعمد التاريخ إغماض عينيه عنها ويشيح الضمير الدولي بوجهه عن مآسيها؛ إذ لم يكتفِ المجتمع الدولي بصمته إزاء مجازر عام ١٩٦٤، التي صاحبت استيلاء تنجانيقا (تنزانيا حالياً) على الجزيرة، بل ما زال يصر على صمته إزاء المذابح التي يواجهها المسلمون وهي تتجدد بعد ربع قرن من الزمان.

نفاق الإعلام الغربي مع زنجبار:

شهدت (زنجبار) عمليات عسكرية لقمع مظاهرات سياسية قام بها المسلمون احتجاجاً على تزوير الانتخابات العامة التي جرت عام ٢٠٠٠م، وانتهت هذه المظاهرات بحصار للجزيرة واقتحام المساجد وضرب السكان، وفي الوقت الذي كان الجيش يحصد أرواح المدنيين كانت الشرطة تكمل المهمة بتكسير عظام ومفاصل الجرحى وتكومهم بعضهم فوق بعض في سيارات مكشوفة.

ما حدث في زنجبار يكشف نفاق الإعلام العالمي، الذي لا يلتفت إلا للمآسي والمذابح التي تتعارض مع السياسات الغربية، أو تلك التي يتجاوز مداها حدود الصمت والتعتيم كما حدث ويحدث في الشيشان وفلسطين مثلاً.

أمام هذا التجاهل الإعلامي الغربي والعربي، أبى مسلمو زنجبار إلا أن يكون لهم وجود في الإقليم الذي يبلغ عدد المسلمين فيه أكثر من ٩٨٪ من سكانه، حيث سعى المسلمون إلى أن يكون لهم دور حيوي في الانتخابات التي جرت في أكتوبر ٢٠٠٥م، فيما يشبه صحوة إسلامية في الإقليم.

بدايات الصحوة في زنجبار:

رأى المراقبون للشأن الإسلامي أنه في ظل الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية المتردية التي يعيشها إقليم زنجبار؛ فإن هذه الصحوة الإسلامية جعلت الانتخابات العامة أكثر شراسة من الانتخابات التي جرت عامي ١٩٩٥ و٢٠٠٠؛ حيث قال (محمد سيد علي) سكرتير جمعية «الوعي الإسلامي» وأحد الأئمة بالإقليم: «إننا نرى بوضوح فراغاً كبيراً داخل زنجبار، من الممكن أن يملأه النظام الإسلامي» مشيراً إلى أن علماء الدين يطرحون الإسلام كحل سياسي في زنجبار، وقد قال (خميس بن علي) أحد أعضاء الجمعية «نحن موجودون

في كل حي بالإقليم، نجمع التبرعات للمحتاجين، ونعظ في المساجد، كما نعلّم الأطفال في المدارس الدينية تعاليم الدين الإسلامي»[1].

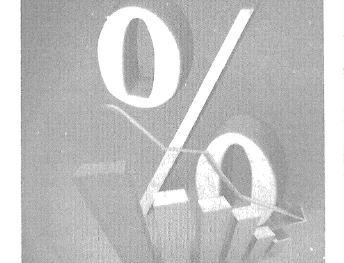
وقد ترعرعت جهود الصحوة الإسلامية من إرشاد ووعظ ومعونات وكفالات للفقراء والمحتاجين، وبدت مظاهرها في تزايد أعداد المترددين على المساجد وعدد مرتديات الحجاب الإسلامي وسط دعوات من القيادات الإسلامية بأنَّ إقرار القيم الإسلامية هو الحل الأمثل لكل «المآسي» التي يعيشها الإقليم، وأنَّ الإسلام هو العامل الوحيد الذي يوحِّد الناس في الجزيرة، ويعرض العلماء الشريعةَ الإسلامية بديلاً للديمقراطية[2].

وتواجه هذه الصحوة الإسلامية في زنجبار العديد من المصاعب، أهمها الفقر، وحملات التنصير، وتنازع بعض الفرق الإباضية والزيدية؛ وفي خضم هذه الظروف والأوضاع المتشابكة، طرحت الأوساط الإسلامية في زنجبار جملة من المطالب، وتعتبر تلبيتها ضرورية لإحداث أي تطور إيجابي للأوضاع العامة، والعلاقات بين الطوائف الأخرى في البلاد، وأهم تلك المطالب: جعل يوم الجمعة عطلة أسبوعية رسمية بدلاً من الأحد، تداول رئاسة الدولة بين المسلمين والنصارى، منح المشايخ الأئمة والعلماء المسلمين حقوقاً سياسية متساوية مثل نظرائهم من رجال الدين النصراني للتمثيل والترشيح في البرلمان والمجالس المحلية، إيقاف استغلال المناصب الحكومية لممارسة الضغوط والاضطهاد على الشباب المسلم في المؤسسات التعليمية والأكاديميات العليا، فتح المجال أمام الشباب المسلم كغيرهم في الحصول على منح دراسية في العلوم الحديثة، والتساوي في توزيع الحقائب الوزارية بين المسلمين والنصارى.

(١) موقع إسلام أون لاين.
(٢) موقع إخوان أون لاين.



المحـــق



د. يوسف بن صالح الصغير (*)

يسدل حالياً الستار على مرحلة مهمَّة من تاريخ البشرية تهاوت فيها الاشتراكية سياسياً وعسكرياً وانكمشت اقتصادياً في أجزاء من الصين وكوبا.

وعملت أمريكا على تصفية جيوبها على مســتوى العالم بفرض العولمة الاقتصادية وَفْق النظرية الرأســمالية، وجرى إجبار الدول على الخضوع لشروط أمريكا من أجل الدخول في منظمة التجارة العالمية، وأصبحت الدول مخيَّرة بين تغيير بنيتها الاجتماعية وهياكلهــا القانونية، وتعريض اقتصادها للنهب الخارجي أو التعرُّض لحصار اقتصادي. إنها محاولة للسيطرة على الثروات على مستوى العالم، وتجميعها لتكون في تصرُّف حفنة قليلة من المؤسسات المالية الغربية، وخاصة الأمريكية.

وبدلاً من عولمة الاقتصاد تمَّت أمركته ورُبطت اقتصاديات دول العالم بالبيوتات المالية الأمريكية وبالســوق الأمريكــي، ولا يخفى أن العقلية الأمريكية التي تتميز بالإقدام والاستهانة بالعواقب الناتجة عن الإحســاس بالفوقيــة والتفوق، والتي غزت العراق وأفغانستان؛ هي التي تدير الحرب الاقتصادية، وهــي التي أعمتها النجاحات الظاهــرة في ابتلاع مقدرات العالم عن النظر في كيفية توظيف التدفق المالي الهائل.

ونظــراً لقيام الاقتصاد على الربا فقد كانت التعاملات الربوية المباشرة هي الســائدة؛ حيث إن البنوك تتعامل وَفْق نظام الائتمان الذي يســمح لها بالاحتفاظ بعشرة بالمئة من الودائع فقط، والباقي يجري استثماره عن طريق إيداعه في مؤسسة أخرى بفوائد ربوية أعلى، والتي تحتفظ بعشرة بالمئة منه فقط وتستثمر الباقي.. وهكذا.

ومن ثم فإن المئة الفعلية الأولى تتحول إلى أضعافها من الأمــوال الوهمية في عملية قائمة على الثقة بالنظام المالي، ولكن أي مشــكلة في ســداد الالتزامات أو ســحب الودائع يكشــف أن السيولة زائفة؛ ولذا فبينما كان هناك لأسابيع خلت تسابق بين البنوك على الإقراض وتشجيع الناس عليه والتســاهل في الشــروط، وهو ما يوحي بأن هناك سيولة زائدة انكشــف النظام مع عدم قدرة الكثيرين على السداد، ومــن ثم توقفت البنوك عن الإقــراض، ولم تعد قادرة على إعادة الودائع، وانقلبت الســيولة الزائدة إلى عدم، وتبخرت الودائع، وانكشــف الوهم وصدق الله: ﴿ يَمْحَقُ اللَّـهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

ومن يرى تخبُّطهم في تلمُّس الحل وبدلاً من ادِّعاء بوش أن بلاده قادرة علــى الحل؛ نجد أنها في النهاية تُقلِّد وتتبع مــا يفعله الأوروبيــون؛ حتى ولو كان مــا يفعلونه هو تأميم المؤسســات. وهناك سؤال بســيط هو: إذا كانت الحكومة الفيدرالية الأمريكية مدينة للبنوك بأرقام فلكية وتشكو من سنين طويلة من العجز؛ فمن أين تأتي بسبعمئة مليار دولار؟ وممن تستدين؟!

الحل بسيط؛ إنها المطبعة، وســنرى دولاراً جديداً مثل القديم ليس له رصيد سوى اسم أمريكا، وقوة أمريكا، وهيبة أمريكا!

(*) أستاذ مشارك في كلية الهندسة، جامعة الملك سعود، الرياض.



أحمد فهمي
afahmee@albayan_magazine.com

مرصد الأخبار

إعدام بلا محاكمة

كشفت صحيفة إندبندنت البريطانية أن حكومة نوري المالكي (الديمقراطية) تنفذ إعدامات سرية في سجون بغداد ذات الإجراءات الأمنية المشددة. وقالت الصحيفة: إن الإعدام شنقاً يُنفَّذ بشكل منتظم في مركز الاستخبارات السابق في عهد صدام حسين بحي الكاظمية ذي الأغلبية الشيعية؛ من دون أن تكون هناك أية سجلات رسمية لعمليات الإعدام في مراكز الاحتجاز في بغداد، وأن الضحايا تجاوز عددهم المئات. وأضافت الصحيفة أن السلطات العراقية وفي كثير من الحالات لا تحتفظ بأي سجلات عن الأسماء الحقيقية للسجناء أو المحتجزين الذين تم شنقهم.

وقال (روبرت فيسك) الصحفي المعروف في مقاله في الصحيفة تحت عنوان: (أسرار غرفة الإعدام العراقية): إن الإعدامات تطال المتهمين بعلاقات مع الجماعات المسلحة. ونقل (فيسك) عن مسؤول بريطاني سابق تجربته في حضور إحدى زنازين الإعدام، فقال على لسانه: «لقد زرت الزنزانة وكانت دائماً فارغة، لكن قبل أن يقودوا هذا الرجل هناك ويعلقوه ويأمروه بالوقوف على المقعد، ربطوا الحبل حول عنقه، ثم دفعوه، لكنه سقط على الأرض واقفاً، ولهذا قاموا بتقصير الحبل، ودفعوه مرة ثانية لكنها لم تكن ناجحة». ويضيف قائلاً: «إن الجلادين في المرة الثالثة أخذوا بالحفر تحت مقعد الإعدام من أجل أن تكون هناك مسافة كافية لشدّ عنق الضحية بعد دفعه». ويقول المسؤول: «لقد حفروا البلاط والإسمنت، لكنها لم تنجح، فكان بمقدور الضحية الوقوف عندما دفعوها، وعندها سحبوا الضحية إلى زاوية الزنزانة وقتلوها برصاصة في الرأس».

[موقع الرابطة العراقية ٨/١٠/٢٠٠٨م]

أكثر من ٢٠٠ جلسة تحقيق مع سامي الحاج في جوانتانامو

كشف سامي الحاج في مقابلة خاصة مع الصحفي البريطاني (روبرت فيسك) تفاصيل وافية عن تجربة اعتقاله وتعامل الأمريكيين معه في معتقل جوانتانامو، وقال: إنهم طلبوا منه أن يعمل جاسوساً لديهم، وقال: «قالوا لي إنهم سيمنحونني الجنسية، وأن زوجتي وطفلي سيتمكنان من العيش معي في أمريكا حيث سأتمتع بالحماية»، ويقول الحاج: إن المحققين أخبروه في أكثر من ٢٠٠ تحقيق «نعرف أنك بريء، أنت هنا بطل بالخطأ» و «كل ما أرادوه مني هو أن أكون جاسوساً لهم».

وقد نُقل الحاج أولاً إلى معتقل باجرام في أفغانستان حيث تعرض للتعذيب والإهانة ١٦ يوماً، يقول: «عندما وقعت بدأ الجنود يتداولون عليَّ؛ أولاً: مشوا على ظهري، ثم عندما لاحظوا أني أنظر إلى رجلي بدؤوا يركلونها، وصرخ أحد الجنود قائلاً: لماذا جئت؟ لتقاتل الأمريكيين».

ثم نقلوه إلى قاعدة قندهار العسكرية، حيث أمروا السجناء حالة وصولهم بالنوم على الأرض «لقد تمت شتيمتنا وقالوا ... أمهاتكم». ومرة أخرى قام الجنود بالمشي على ظهورنا، أخذوني إلى خيمة وعروني من ملابسي، ثم نزعوا الشعر من لحيتي وصوروا بؤبؤ عيني، وشاهد طبيب دماً على ظهري وسأل لماذا؟ قلت: ماذا تظن؟».

وفي إحدى جلسات التحقيق قال أحد الأمريكيين له: «بعد خروجك من هنا قد تجندك القاعدة، ونريد أن نعرف من ستقابل، قد تصبح محللاً ونستطيع تدريبك على خزن المعلومات، ورسم الأشخاص. هناك صلة بين الجزيرة والقاعدة، كم تدفع القاعدة للجزيرة؟».

ويحكي الحاج عن أسلوب الأمريكيين في التعامل معه بعد إضرابه عن الطعام، يقول: «ربطوني إلى كرسي وأدخلوا أنبوباً في أنفي ومعدتي لإطعامي، اختاروا أنبوباً كبيراً حتى يحدث الألم، واستخدموا الأنبوب نفسه الذي استخدموه مع بقية السجناء، ثم يضخون الطعام أكثر مما يمكن استيعابه. وقالوا لنا: إن من يقوم بهذا هم أطباء، ولكنهم لم يكونوا سوى جلادين. ودفعوا بأربع وعشرين علبة طعام في معدتنا، وكنا نتقيؤها، ثم يعطوننا ملينات للإخراج، جهاز البنكرياس لديّ تأثر، ولدي مشاكل في المعدة، ثم كانوا يحرموننا من شرب الماء».

[القدس العربي ٢٧/٩/٢٠٠٨م]

اقتصادي غربي: نحن بحاجة إلى قراءة القرآن أكثر من الإنجيل

كتب (بوفيس فانسون) رئيس تحرير مجلة (تشالينجز) - من الصحف الاقتصادية الغربية البارزة - مقالاً بعنوان (البابا أو القرآن)، دعا فيه صراحة إلى تطبيق المفاهيم الإسلامية الاقتصادية للخروج من الأزمة المالية العالمية. وتساءل الكاتب في مقاله عن أخلاقية الرأسمالية، ودور «المسيحية» بوصفها ديانة والكنيسة الكاثوليكية بالذات في تكريس هذا المنزع والتساهل في تبرير الفائدة، مشيراً إلى أن هذا النسل الاقتصادي السيئ أودى بالبشرية إلى الهاوية. وقال الكاتب: «أظن أننا بحاجة أكثر في هذه الأزمة إلى قراءة القرآن بدلاً من الإنجيل لفهم ما يحدث بنا وبمصارفنا؛ لأنه لو حاول القائمون على مصارفنا احترام ما ورد في القرآن من تعاليم وأحكام وطبَّقوها؛ ما حلَّ بنا ما حلَّ من كوارث وأزمات، وما وصل بنا الحال إلى هذا الوضع المزري؛ لأن النقود لا تلد النقود».

ولم يكن (فانسون) وحيداً في مطالبه؛ فقد طالب (رولان لاسكين) رئيس تحرير صحيفة (لوجورنال د فينانس) بوضوح أكثر بضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية في المجال المالي والاقتصادي؛ لوضع حدٍّ لهذه الأزمة التي تهزُّ أسواق العالم من جراء التلاعب بقواعد التعامل والإفراط في المضاربات الوهمية غير المشروعة، وعرض (لاسكين) في مقاله في افتتاحية الصحيفة والذي جاء بعنوان «هل تأهلت وول ستريت لاعتناق مبادئ الشريعة الإسلامية؟»؛ عرض المخاطر التي تحدق بالرأسمالية وضرورة الإسراع بالبحث عن خيارات بديلة لإنقاذ الوضع، وقدَّم سلسلة من المقترحات المثيرة؛ في مقدمتها تطبيق مبادئ الشريعة الإسلامية رغم تعارضها مع التقاليد الغربية ومعتقداتها الدينية. وكانت الهيئة الفرنسية العليا للرقابة المالية - وهي أعلى هيئة رسمية تعنى بمراقبة نشاطات البنوك - قد أصدرت في وقت سابق قراراً يقضي بمنع تداول الصفقات الوهمية والبيوع الرمزية التي يتميز بها النظام الرأسمالي، واشتراط التقابض في أجل محدد بثلاثة أيام لا أكثر من إبرام العقد، وهو ما يتطابق مع أحكام الفقه الإسلامي، كما أصدرت الهيئة نفسها قراراً يسمح للمؤسسات والمتعاملين في الأسواق المالية بالتعامل مع نظام الصكوك الإسلامي في السوق المنظمة الفرنسية. كما أكد تقرير صادر عن مجلس الشيوخ الفرنسي أن النظام المصرفي الإسلامي مريح للجميع؛ مسلمين وغير مسلمين، ويمكن تطبيقه في جميع البلاد، فضلاً عن كونه يلبِّي رغبات كونية. وكانت لجنة المالية ومراقبة الميزانية والحسابات الاقتصادية للدولة في مجلس الشيوخ الفرنسي قد نظمت طاولتين مستديرتين في منتصف مايو ٢٠٠٨م حول النظام المصرفي الإسلامي لتقييم الفرص والوسائل التي تسمح لفرنسا بولوج هذا النظام الذي يعيش ازدهاراً واضحاً، وجمعت أعمالاً لطاولتين في تقرير واحد. ودعا التقرير إلى توسيع دائرة النقاش حول هذا الموضوع ليشمل - إلى جانب لجنة مجلس الشيوخ - الجالية المسلمة الموجودة في فرنسا والمكونة من خمسة ملايين ونصف المليون مسلم. وتعد فرنسا متأخرة جداً في مجال احتضان هذا النظام مقارنة مع الدول الأوروبية؛ حيث كانت بريطانيا الرائدة في القبول به على أراضيها، وقد أصدرت نصوصاً تشريعية وضريبية من شأنها أن تشجع النظام الإسلامي المالي، وفتح فيها أول مصرف إسلامي عام ٢٠٠٤م.

[السبيل ٨/١٠/٢٠٠٨م]

نائب لـ (حسن نصر الله)

نشرت صحيفة (معاريف) الصهيونية أن حزب الله الشيعي اللبناني اختار خليفة لأمينه العام حسن نصر الله، في حال اغتياله، ونسبت (معاريف) معلوماتها إلى مصادر مطلعة أشارت إليها صحيفة (خورشيد) الإيرانية، وأشارت المعلومات إلى أن الشخص المرشح هو هاشم صفي الدين رئيس المكتب التنفيذي للحزب.

وذكرت الصحيفة أن تعيين خليفة لنصر الله من سبل الحرب النفسية التي يستخدمها حزب الله، وأنه في حال نجحت تل أبيب في اغتيال الزعيم الحالي فإن ذلك لن يترك أثراً على أنشطته، من جانب آخر قال (إيتمار عنبري) معلق معاريف للشؤون العربية: «على ما يبدو أن اغتيال مغنية وتزايد المخاوف بين صفوف الحزب من احتمالات قيام إسرائيل باغتيال نصر الله هو الذي دفعهم إلى الإقبال على هذه الخطوة». ويذكر أن منصب رئيس المكتب التنفيذي كان يشغله نصر الله قبل تسلُّمه منصب الأمين العام.

[بتصرف عن موقع مركز البيان للإعلام ١٤/١٠/٢٠٠٨م]

الطائرات الصهيونية تقتل عبد الناصر

قالت الجماعة الإسلامية المصرية في بيان لها على الإنترنت بمناسبة ذكرى حرب أكتوبر ١٩٧٣م: إن النصر الذي يعد الأول من نوعه على الدولة الصهيونية في سلسلة الحروب العربية معها «كان غرة الجهد الكبير الذي بدأه الرئيس جمال عبد الناصر الذي لم تتحمَّل أعصابه أن يرى الطائرات الصهيونية تعربد في سماء القاهرة بعد الهزيمة، فأصيب بانسداد الشريان التاجي، ومات وهو في سن الثانية والخمسين على غير عادة أمثاله من الرؤساء»، وأعرب أحد قياديي الجماعة عن أمله في أن تكون هذه النهاية للرئيس عبد الناصر سبباً في أن يعفو الله عنه جراء ما اقترف من مظالم في حق الحركة الإسلامية.

[موقع صحيفة الشعب ١١/١٠/٢٠٠٨م]

حقوق المرأة.. من يحفظها؟

وجهت الطالبات المحجبات بالمعهد العالي للدراسات التكنولوجية في منطقة سيدي بوزيد جنوب تونس العاصمة رسالة مفتوحة إلى الرأي العام التونسي والدولي كشفن فيها عما يتعرضن له من قمع واضطهاد بلغا حدوداً «جنونية» - على حد قولهن - من قبل مدير المعهد، وقالت الطالبات: إنه مع بدء العام الدراسي منع المدير المحجبات من التسجيل بسبب حجابهن، وحتى من خضعت ونزعت حجابها لم يقبل بتسجيلها للدراسة، وأرجع المدير سياسته تلك إلى تعرضه للتوبيخ من وزير التعليم التونسي العام الماضي عندما زار المعهد ليجد عدد المحجبات الكبير داخله، فقال في غضب للمدير: «هذا كوري وليس معهداً»، (يعني: هذا إسطبل وليس معهداً)، وأضاف قائلاً في توبيخه للمدير: «نظِّف هذا الوسخ الذي عندك»، وكان يقصد بـ «الوسخ» الطالبات المحجبات.

[إسلام أون لاين ٢٠/٩/٢٠٠٨م]

المنشار الأمريكي

في برنامج (من واشنطن) على فضائية الجزيرة قال الصحفي اليهودي الأمريكي المعروف (توماس فريدمان) في حواره مع مقدم البرنامج: «إذا كانت هيمنة أكبر لأمريكا على الشرق الأوسط لا تعجبك؛ فإن هيمنة أمريكية أقل على الشرق الأوسط لن تعجبك أيضاً»، في إشارة إلى أن تراجع النفوذ الأمريكي سيحمل مخاطر «مزعومة» للمنطقة كان الوجود الأمريكي يبعدها.

[الجزيرة ١٣/١٠/٢٠٠٨م]

العراق بين المستقبل والحاضر

قال السفير الأمريكي في بغداد (رايان كروكر): إن المشكلة - في العراق - تتلخص بالتالي: إن الشيعة لا زالوا خائفين من الماضي، والسنة خائفون من المستقبل، بينما يخاف الأكراد من الماضي والمستقبل. من مقال لـ (توماس فريدمان) في (نيويورك تايمز) يوجه فيه رسالة على لسان بوش إلى العراقيين...

[عن القدس العربي ٢٦/٩/٢٠٠٨م]

بوش بعقل ولد

استضاف الرئيس (جورج بوش) رؤساء الدول والوفود إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة في حفلة استقبال بعدما كان ألقى خطابه الأخير في الدورة الثالثة والستين، وصافح الرئيس وزير خارجية عربياً ترافقه زوجته، وقال الوزير للرئيس: إنه يدعوه بعد أن يترك البيت الأبيض ويتقاعد لزيارته في بلده، ووعده بأن يركض معه على شاطئ البحر للرياضة، وقالت زوجة الوزير: إنها لن تركض معهما؛ لأن الرئيس (بوش) رياضي ويعدو بسرعة، وهي لا تستطيع مجاراته، وردَّ (بوش) محاولاً طمأنتها؛ لأنه يعاني من مشاكل في ركبتيه فقال: «عندي ركبتان عمرهما ٨٨ سنة»، وأكمل ضاحكاً: «وعقل ولد عمره ١٥ سنة». وعلقت زوجة الوزير «الآن تخبرنا هذا».

[من مقال جهاد الخازن، صحيفة الحياة ١١/١٠/٢٠٠٨م]

مرصد الأرقام

- وصل عدد المشتركين في شركات الهاتف المحمول الثلاث العاملة في مصر؛ إلى ٣٢,٣ مليون مشترك، بلغ نصيب شركة (موبينيل) منهم ١٦ مليون مشترك، بينما تأتي (فودافون) في المركز الثاني بـ ١٣,٣ مليوناً، في الوقت الذي استحوذت فيه (شركة الاتصالات) على ٣ ملايين مشترك في عام واحد فقط.

[سويس إنفو ٢٠٠٨/١٠/٧م]

- مصادر أمنية مصرية ذكرت أنه تم سد ما يقرب من ٢٠٠ نفق لتهريب الأسلحة والذخائر والبضائع على الحدود مع غزة؛ في الفترة من سبتمبر ٢٠٠٥م حتى يوليو ٢٠٠٨م، ولم يعلن عنها في وقتها لأسباب أمنية، وذلك بعد ظهور فيلم إسرائيلي يزعم صمت مصر على تهريب السلاح إلى الأراضي الفلسطينية، وردَّت مصر بأنها أبلغت عدداً من المسؤولين الأمريكيين بأنها أغلقت ١٦٠ نفقاً خلال عام ٢٠٠٧م فقط.

[السبيل ٢٠٠٨/١٠/٧م]

- كشفت وزارة الدفاع البريطانية عن اختفاء جهاز حاسب آلي يضم أسماء نحو مائة ألف من عناصر الجيش وعائلاتهم وعناوينهم وأرقام جوازات سفرهم وتواريخ ميلادهم وتفاصيل رخص قيادتهم، كما يحتوي جهاز الحاسوب على معلومات عن نحو ستمائة ألف شخص تقدموا بطلبات الالتحاق بالقوات المسلحة وأسماء الأشخاص الذين يعرفونهم، ولم يستبعد مسؤولون في الدفاع أن تشتمل المعلومات أيضاً على أرقام الحسابات المصرفية لأفراد الوزارة. وقد اعترفت وزارة الدفاع في يوليو الماضي باختفاء أو سرقة ٦٥٨ جهاز حاسوب محمول و٢٦ وحدة ذاكرة (فلاش) تحتوي على بيانات شخصية في الأعوام الأربعة الأخيرة.

[وكالات ٢٠٠٨/١٠/١١م]

- أكد محمد الدايني عضو البرلمان العراقي أن هناك خلايا إيرانية نائمة في كل الأقطار العربية، وأن طهران خصصت ١٠٠ مليار دولار لتمويل هذه الخلايا، وقال: إنه في محافظة ديالى وحدها ألقي القبض على ١١ ألف إيراني تم إخفاء ملفاتهم لاحقاً، وقال: إنه قبل احتلال العراق كانت هناك ٣٢ ميليشيا مدربة وجاهزة تعيش في إيران، ويُنفَق عليها ببذخ من أجل هذا اليوم.

[موقع الهيئة ٢٠٠٨/١٠/١١م]

من هنا وهناك

- كشفت صحيفة (هآرتس) الإسرائيلية أن كثيراً من الأمريكيين يلقون على اليهود في أمريكا مسؤولية الأزمة المالية التي تعصف ببلادهم. وأوضحت الصحيفة نقلاً عن تقرير منظمة (مكافحة التشويه اليهودية الأمريكية) أن هناك ارتفاعاً في موجة معاداة اليهود بسبب الأزمة المالية، وأن المنظمة رصدت المئات من الرسائل الإلكترونية التي تحمل على اليهود بشكل عام وتحملهم المسؤولية؛ ومتهمة إياهم بالسيطرة على الحكومة والنظام المالي الأمريكي.

[موقع التعصب]

- قضت محكمة مصرية بتغريم الصحفيَّيْن المصريَّيْن عادل حمودة ومحمد الباز - صحيفة الفجر - ٨٠ ألف جنيه لكل منهما لإدانتهما بسبِّ شيخ الأزهر محمد سيد طنطاوي وقذفه، لكن الصحفيَّيْن نالا البراءة من تهمة إهانة الأزهر الشريف، وكانت الصحيفة نشرت العام الماضي مقالاً بقلم الباز ينتقد فيه شيخ الأزهر لما قال: إن موقفه لين في مواجهة الرسوم التي سخرت من النبي ﷺ في صحيفة دنماركية وأعادت صحف غربية عديدة نشرها، وصحب المقال رسم ساخر ظهر فيه شيخ الأزهر مرتدياً زي بابا الفاتيكان.

[سويس إنفو ٢٠٠٨/١٠/٧م]

- ذكرت صحيفة (السبيل) أن دولاً عربياً اتصلت بحماس معلنة دعمها في وجه الضغوط المصرية، بل إن إحدى الدول العربية تعهدت بتقديم ٥ ملايين دولار شهرياً رواتب للعاملين في مجالَيِ التربية والصحة.

[السبيل ٢٠٠٨/١٠/١١م]



أحمد الغريب
Ahmedm2@hotmail.com

● أرسل الجنرال (جابي إشكنازي) رئيس هيئة الأركان العامة في الجيش الصهيوني رسائل إلى كلٍّ من: رئيس الحكومة الصهيونية (إيهود أولمرت)، ووزير الحرب (إيهود باراك)، ووزير الأمن الداخلي (آفي ديختر)، والقائد العام للشرطة الصهيونية (دودي كوهن)، وإلى عدد كبير من القيادات اليهودية؛ حذَّرهم فيها من انخفاض أعداد الشباب البدو من عرب النقب المنخرطين في صفوف الجيش الصهيوني، مؤكداً أن سبب انخفاض أعداد البدو الملتحقين بالجيش هم أئمة المساجد في النقب الذين يحرضون ضد الدولة الصهيونية وضد الخدمة في الجيش، والذين يمارسون كل أشكال الضغط والتحريض على عائلات المجندين البدو ويدعون إلى مقاطعتهم، مضيفاً أن سلطات الدولة تتهاون مع هؤلاء الأئمة المحرضين ولا تعاقبهم.

وأكد (إشكنازي) أن انخراط البدو في الجيش الصهيوني يجب أن يكون هدفاً استراتيجياً لدى الكيان الصهيوني، وذلك أن كل مجند بدوي يحضر معه عشيرة كاملة والتي تصبح أكثر تأييدا للكيان، داعياً إلى معاقبة الأئمة المحرضين.

[صحيفة هاآرتس ٢٠٠٨/٩/٢٤م]

● أجرى قائد سلاح المشاة في الجيش الصهيوني الجنرال (آفي مزراحي) زيارة سرية إلى إقليم كشمير المتنازع عليه بين الهند وباكستان، وذلك في إطار التعاون العسكري بين الجيشين الهندي والصهيوني والذي يشمل برامج صهيونية لتدريب وحدات الكوماندوز الهندية.

وقام الجنرال (مزراحي) خلال الزيارة بتفقُّد معسكرات الكوماندوز وسلاح المشاة في الجيش الهندي، كما استعرض سبل تنفيذ البرامج التي أعدَّها الجيش الصهيوني لعمل الوحدات الهندية في كشمير؛ بهدف التعامل مع مختلف التحديات التي تواجهها هناك، كما قام كذلك بتقديم عرض للجانب الهندي يشمل تعريف القوات الهندية بالدروس التي استخلصها الجيش الصهيوني من مواجهة المنظمات المسلَّحة والمقاومة الشعبية.

[صحيفة معاريف ٢٠٠٨/٩/٢٢م]

● «ليست هناك فرصة للتعايش بين الفلسطينيين داخل ما يُعرف بالخط الأخضر والإسرائيليين؛ خاصة أن العرب معنيون بطرد اليهود من البلاد، كما أنه لا يوجد لدي إيمان بما يسمَّى بالسلام بين العرب واليهود، وبحياة الشراكة بينهما».

[قائد هيئة الأركان الأسبق لجيش الاحتلال (موشيه يعلون)، راديو الجيش الصهيوني ٢٠٠٨/٩/٢٠م]

محمد الهواري
Al7adaka@hotmail.com

● **مفتي تشاد: التنصير يفشل في دولتنا**

قال مفتي تشاد د. حسين أبو بكر خلال زيارته الأخيرة للقاهرة: «تشاد هي بوابة إفريقيا في نشر اللغة العربية، فقد تنبَّه التبشير والتنصير الكنسي إلى ذلك قبلنا، وكوَّن ما يزيد على سبعين منظمة تبشيرية وتنصيرية عن طريق التعليم والصحة والإغاثة والمساعدات الإنسانية، ويتستَّر التنصير والتبشير خلف هذه المنظمات ويعمل ليل نهار».

وأكد أنه - ولله الحمد - حتى الآن لم يعتنق مسلم النصرانية، وحتى القلائل الذين اعتنقوها بدؤوا يتخلون عنها ويعودون إلى إسلامهم، حتى إن بعض القساوسة من إيطاليا وألمانيا الذين جاؤوا إلى البلاد مبشرين عندما رأوا وضع الإسلام ولمسوا روحه السمحة التي لم يجدوها في دينهم أشهروا إسلامهم وصاروا دعاة معنا.

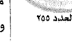
[صحيفة الجريدة ٢٠٠٨/١٠/١٠م]

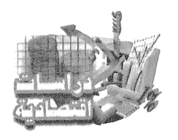
● **بابا الفاتيكان يحث الأساقفة على التضحية من أجل التنصير**

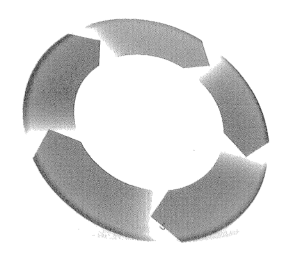
في اجتماعه مع الأساقفة المرسومين حديثاً والمشاركين في دورة تنشئة التي نظَّمها مجمع تبشير الشعوب؛ طالب (بنديكت) بابا الفاتيكان الأساقفة بالتضحية من أجل التنصير وترك الخوف، ومواجهة أخطار الأسفار البرية والبحرية من أجل نشر النصرانية.

وأشار إلى ضرورة العمل الرعوي والتنشئة لكل الأسرة البشرية خصوصاً في قارتَّيْ آسيا وإفريقيا؛ حيث الحاجة الماسة. واختتم كلمته بذكر عبارة مما يسموه الكتاب المقدس: «من أراد أن يتبعني فليزهد بنفسه ويحمل صليبه ويتبعني».

[إذاعة الفاتيكان ٢٠٠٨/٩/٢٠م]







(دائرية الفقر) في المفهوم الإسلامي

د. مصطفى محمود محمد عبد العال(*)

تمهيد:

يعدُّ الفقر مشكلة معقدة متعددة الأبعاد وذات جذور ضاربة على الصعيد المحلي والإقليمي والدولي، وتتعدد المفاهيم المرتبطة بالفقر، ومن خلال هذا المقال يتم التعرف على مصطلح (دائرية الفقر) والأمثلة التي تبرزه بوصفه فكرة، وتوضح خطورته بالنسبة للفكر الاقتصادي المعاصر، ثم توضح المقالة المفهوم الإسلامي لدائرية الفقر، وهل يتعارض هذا المفهوم مع مبادئ الفكر والعقيدة الإسلامية، أم يتفق معها؟

أولاً: (دائرية الفقر) تعاريف وأمثلة:

المقصود بـ (دائرية الفقر): «تلك الحلقة التي يترتب على كل نقطة منها مزيد من الآثار السلبية على مستويات المعيشة وعلى الإنتاج والاستثمار والدخل.. إلخ»(1)، ويؤدي الفقر إلى مزيد من الفقر، كما يؤدي التقدم إلى مزيد من التقدم، ومن ثَمَّ فهذه الفكرة قد شرحت التشابك الدائري لمعوقات وعقبات التنمية وشدة وطأتها على الاقتصاد المتخلف، فكل عقبة تُعدُّ سبباً ونتيجة لغيرها من العقبات، وأنها تنتظم معاً في حلقات متتابعة مترابطة تبرز ظاهرة التخلف في البلاد النامية التي تعجُّ بمزيد من حلقات الفقر التي تجره إلى منحدرات لا يستطيع الفكاك منها من التخلف والجهل والمرض.

وتُعدُّ أهم حلقات هذه المجموعة الدائرية من العوامل المتشابكة في تقدير الاقتصادي (نيركسه) الذي يقف وراء هذه الفكرة؛ هي حلقة تكوين رأس المال في الاقتصاد المتخلِّف(2)، حيث تعاني الدول المتخلفة من انخفاض معدلات الادِّخار

(*) باحث في الاقتصاد الإسلامي، بنك التمويل المصري – السعودي.

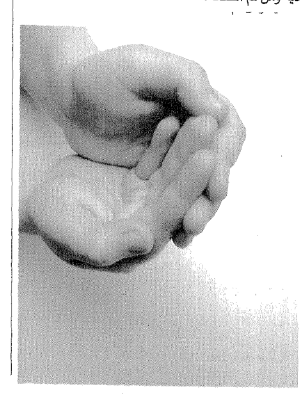
(1) د. علي لطفي، التنمية الاقتصادية، دراسات في النظرية، مكتبة عين شمس، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٧٩.

(2) د. محمد زكي شافعي، التنمية الاقتصادية، الكتاب الأول، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٦م، ص ٥٤.

بوصف ذلك نتيجة حتمية لانخفاض التكوين الرأسمالي؛ ومن ثم يستتبع ذلك انخفاض مستويات الإنتاجية في المجتمع، ويؤدي انخفاض الدخل الحقيقي للسكان إلى انخفاض القدرة الشرائية لهم، وهو ما يقلّ من الحافز للاستثمار، ولذا يقلّ الطلب على رؤوس الأموال للاستثمار، ويؤدي انخفاض الإنتاجية في المجتمع إلى انخفاض مستويات الدخول، كما أن نقص الحوافز على الاستثمار يتسبَّب في انخفاض مستوى الإنتاجية.

ومع ذلك فهناك حلقات أخرى؛ كحلقة انخفاض مستوى الدخل الحقيقي أو حلقة الفقر؛ حيث يؤدي انخفاض مستوى الدخل الفردي الحقيقي إلى انخفاض مستويات التغذية والصحة، ويعمل ذلك على انخفاض مستويات الكفاءة الإنتاجية، ويتسبَّب ذلك في انخفاض مستويات الدخل.. وهكذا. وإلى جانب ذلك توجد حلقات أخرى ثانوية، مثل: حلقة انخفاض مستويات التعليم، وحلقة انخفاض مستويات المهارة الفنية، وهو يعمل على انخفاض مستويات الدخل الذي يؤدي إلى انخفاض مستويات التعليم.

وأيضاً فإن انخفاضُ مستويات الصحة يؤثر على القدرة على العمل، ويسبِّب انخفاضُ مستويات القدرة على العمل انخفاضَ مستويات الإنتاجية. والنتيجة الحتمية لذلك انخفاض مستويات الدخول، وهو يؤدي إلى انخفاض مستويات التغذية ومن ثم الصحة.



وقد سمَّى (نيركسه) هذا الوضع بـ («مصيدة التخلُّف» وهو وضع يُحْكِمُ حلقاته حول المجتمع إن لم ينحدر به إلى مستويات أدنى في قاع التخلُّف، حيث يوقف نمو هذه الدول ويمنع تقدُّمها)(1). والطريقة الأمثل للخروج من (دائرية الفقر) هو كسرها في أي نقطة ليقف أثرها التراكمي. ولم تفلح دول العالم الثالث في تحطيم حلقة الفقر ولا استغلال مواردها الاقتصادية، وهو ما أوقعها في حمأة التخلُّف.

ثانياً: (دائرية الفقر) في المفهوم الإسلامي:

إن الله - عز وجل - هو وحده المتكفِّل بالرزق؛ حيث يقول - تعالى -: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٣١].

ولقد حذَّر الله الناس في هذه الآية من قتل الأولاد مخافة الرزق أو الفقر، وقد أخبرنا - سبحانه وتعالى - أنه ما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ [هود: ٦].

ومن خلال المفهوم الإسلامي فإن الله - عز وجل - لم يترك أحداً دون أن يرزقه من واسع فضله، وهو ما يعني: عدم دوام الصعوبات التي يلاقيها المرء في حياته، وأن الفقر ليس دائماً وأبدياً؛ حيث إن الرزق مكفول، غير أن الله - عز وجل - ينزله بقدر معلوم.

وفي آية أخرى يقول - سبحانه وتعالى -: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [الزخرف: ٣٢].

أي: أن الله - عز وجل - يقسم الأرزاق كمّاً وكيفاً وتوقيتاً، وكم من فقير أغناه الله من واسع فضله، وكم من غني افتقر. ومن ثَمَّ فالغنى والفقر في المفهوم الإسلامي ليس دائرياً أو متصلاً حيث لا يستطيع أن يتنبأ الإنسان بكسبه أو رزقه؛ إذ يقول الله - تعالى -: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤].

ومن ثَمَّ يصعب القول بـ (دائرية الفقر).

وفي الأحاديث النبوية الشريفة نجد الدعوة إلى مكافحة الفقر ببيان أثره حيث يقول ﷺ: «كاد الفقر أن يكون كفراً»(2).

(1) د. عبد المنعم عفر، مشكلة التخلف، دار الغد العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م، ص ١٢٠.

(2) أخرجه الطبراني في الأوسط.



ولم يستعذ الرسول ﷺ من شيء قدر استعاذته من الفقر حيث يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر، فسأله أحدهم: أيعدلان؟ قال: نعم!»(١).

ولعلَّ أبلغ نفي لـ (دائرية الفقر) في المفهوم الإسلامي هو حديث الرسول ﷺ: «فوالله! ما الفقرَ أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تُبسَط عليكم الدنيا كما بُسِطت على من كان قبلكم؛ فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم»(٢).

ويعني ذلك: أن الرسول ﷺ لا يخاف على أمة الإسلام من الفقر؛ لأنه يمكن القضاء عليه - أي: كسر دائريته - بالأساليب الاقتصادية الإسلامية، وذلك بعكس الترف والثراء الفاحش الذي يفسد الأمة ويبدِّد الخيرات ويأكل اليابس والأخضر إلا ما رحم الله(٣).

ويرتبط مفهوم (دائرية الفقر) بالأزمات الرأسمالية الغربية، وقد يكون مناسباً لهذه الأجواء. أما في المفهوم الإسلامي فقد جعل الإسلام لجميع أفراد المجتمع حقاً في المال يتناسب مع الأصول الفطرية ويكسر (دائرية الفقر) المرذولة؛ من خلال الأسس الإسلامية؛ كالعمل والتكافل وحقوق المسلمين الفقراء في بيت المال(٤).

وقد حثَّ الإسلام الفقير المسلم القادر على العمل على أن يعمل وأن يساعده في ذلك وليُّ الأمر؛ ليكون عضواً عاملاً في المجتمع فيستفيد منه المجتمع ويكفيه ذلك عن السؤال ومدِّ يده للآخرين. يقول الرسول ﷺ: «لأَن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة الحطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه»(٥).

(١) أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه.

(٢) أخرجه البخاري.

(٣) د. حمدي عبد العظيم، فقر الشعوب بين الاقتصاد الوضعي والاقتصاد الإسلامي، الناشر: المؤلف، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ٨٥.

(٤) مصطفى محمود عبد السلام، كيفية معالجة الإسلام للتخلف الاقتصادي، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ٣٨.

(٥) أخرجه البخاري، رقم ١٣٧٨.

ومن ثمَّ فإن هذه النظرة تنفي تعلُّق الفقراء بالقضاء والقدر؛ على اعتبار أن هذا الفقر قدر مقدور وواقع بهم، بل إنه متى نعيت عليهم فَلاكتهم - فقرهم - أو نودي عليهم بها؛ كان ذلك لأنهم إما فاعلوها استقلالاً أو مشاركة(٦).

وهكذا يكون تعلُّل الفقراء بالقضاء والقدر لتبرير استسلامهم لشدة الفقر؛ يمثل خللاً في صحة العقيدة، ومن ثم فتصحيح عقيدة الفقير بشأن القضاء والقدر له توظيفاته الاقتصادية الهامة، منها: أن هذا التصحيح يدفع الفقير للعمل ليقضي به على فقره ويدفعه لحب المال فيسعى لجمعه واكتسابه، والمعقول يشهد بذلك، فإن في الكسب نظام العالم، والله - تعالى - حكم ببقاء العالم (الدنيا) إلى حين فنائه وجعل سبب البقاء والنظام كسب العباد، وفي تركه تخريب نظامه، وذلك ممنوع منه شرعاً(٧).

أيضاً يأتي دور الدولة لمساعدة الفقراء - غير القادرين على العمل - من بيت مال المسلمين إذا لم تكفِ أموال الزكاة (الأداء الإجباري)؛ حيث يمكن لوليِّ الأمر التدخل في أن يأخذ من أموال الأغنياء بقدر ما يحقق حاجات الفقراء لسدِّ حاجتهم؛ لتحقيق التوازن والحياة الكريمة لأفراد المجتمع على مختلف فئاتهم؛ فتهنأ حياتهم ويتفرغ كل من الفقير والغني لأداء ما كلِّف به من عمارة الأرض؛ تقرُّباً إلى الله وإخلاصاً في عبادته(٨).

وهكذا تتكامل المنظومة بين الفرد والدولة في المجتمع الإسلامي لكسر (دائرية الفقر)، ومن ثم يعدّ مفهوم (دائرية الفقر) لا وجود له في المفهوم الإسلامي.

(٦) أحمد بن علي الدلجي، الفلاكة والمفلوكون، مطبعة الآداب، النجف، بغداد، ص ١١، بدون تاريخ.

(٧) محمد بن الحسن الشيباني، الكسب، تحقيق: د.سهيل زكار، عبد الهادي حرصوني للنشر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، ص ٤٦.

(٨) أبو الحسن الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧٣م، ص ٤٧.



بغداد.. الموت وجهاً لوجه

عبد الهادي الزيدي

لم يكن يعلم أن المواجهة بين الحياة والموت وبين السلاح والإيمان قاسية إلى هذا الحدّ ومرعبة إلى درجة الاختناق إلا حين سقط في ذلك الموقف المرعب بعد سنة من الاحتلال. آنذاك كانت جدران الأعظمية نائمة، ومئذنة الإمام الأعظم قد هدأت بعد أن أكمل مؤذن الفجر عبارته الأخيرة: (لا إله إلا الله) وهو يقود سيارته بهدوء واطمئنان متجهاً لأداء الصلاة، وبعد أن أكمل منعطف الشارع الضيق بانتظار أن يدخل رحاب الشارع العام المؤدي إلى الجامع كان وجهاً لوجه مع دورية أمريكية مدججة بالسلاح، متوقفة هناك تسدُّ ثلثي الشارع ومدخل الساحة الصغيرة. كانت مصابيح المنارة تفضح الأبدان، وتقاسيمُ الوجوه تكتم ما يجري في القلوب والدماء.

وضع الموقف في خانة المفاجآت غير السارة والتي يمكن أن تتحول في أي لحظة إلى مآسٍ وكوارث، وبدأ يراجع التفاصيل لكي يفهم ما هو فيه: دبابة أمريكية ضخمة تتقدم آليات عدة بدت واقفة في مكانها منذ منتصف الليل أو ربما قبل ذلك. لا يدري تماماً متى وقفوا هنا ولماذا، ثم لماذا - ثانية - أطفؤوا أنوار آلياتهم وقبعوا إلا جندياً واحداً لاح أمامه بوضوح معتلياً ظهر الدبابة. حاول أن يرجع بسيارته فخاف أن يتعرَّض لإطلاق الرصاص، وفكَّر أن يفتح بابها فينزل ليكلِّمهم أو ليشير إليهم مؤدِّياً حركات الصلاة أو راسماً شكل الجامع.. وطرد الفكرة أيضاً؛ إذ ربما تسبِّب أي حركة يقوم بها موته. قرأ آية الكرسي وتمتم بسورة أخرى ثم تلا الشهادتين منتظراً ما تأتي به الدقائق القادمة. الجندي الأمريكي ما زال مصرّاً على هيئته؛ حركة متحفزة ورأسه الذي تعتليه خوذة معدنية تصلب باتجاهه.

والدقائق بينهما جمدت، والسكون شمل الكون كله، تمنَّى ولو للحظة أن يعبر إنسان من جهته أو من جهة الدبابة، تمنَّى أية حركة إنسانية: عطاس، سعال، نحنحة، أي شيء آخر يحرك سواكن الموجودات في المكان أو يكون دلالة على وجود الحياة التي رحلت من صورة الجندي والحديد والجدران، لا من بقايا زفير واهن كان يصدر من الطرفين.. هل توقف تنفُّسهما هو الآخر؟!

عاودته مرة أخرى فكرة القيام بأية حركة، وتمنَّى لو كان ضوء مصابيح سيارته يرتطم في موضع أعلى فيلقي أشعته على وجه الجندي الذي بدا جامداً كأنما صُبَّ من حديد على ضوء أول الفجر الخافت وما يتسوله المكان من أضواء المنارة التي تفصلها عنهم بعض أبنية السوق القديم. وأحسَّ بقطرات عرق وقحة تشاكسه فتنزلق من جبينه إلى عينيه ويستقر بعض منها تحت لحيته التي لاحت بعض شعراتها البيض منذ سنة تقريباً هي الأخرى، علبة المناديل الورقية قريبة منه ولكن.. نعم! إنها أقرب ما تكون إليه، ولكن هل يستطيع سحب ورقة منها ليجفف عرقه؟ ومن يضمن له سلامة موقفه هنا؟ وأحسَّ أن مثل هذه الحركة يمكن أن يفسرها جندي الاحتلال: عدواناً، أو تمرداً، أو مقاومة، وعند ذاك قد يحصل ما لا يحمد عقباه.

هل يعقل أن يكون الجندي دمية أو نصباً أو ميتاً؟ ثم لماذا لا يبرز غيره أو يترجل أحدهم فتكون إشارة إلى سلوك ما؟! هل وضعوا إشارة أو دلالة تفسِّر لي ما يمكن فعله؟! قاده سؤاله الأخير إلى التمعُّن أكثر بجسد الدبابة وبما يحيطها، نظر من الأسفل إلى الأعلى، ثم من كل الجهات لعله يجد كلمة أو إشارة أو علامة بالمرور أو الوقوف أو منع الحركة أو إبراز البطاقة الشخصية.





حـــاول الحصول على أية علامـــة للتفاهم والخروج من الموقف؛ إلا أن محاولاته باءت بالفشل، والجندي أصبح جزءاً من الدبابـــة، وصوَّب نظره باتجاه يـــد الجندي التي غابت أصابعها في بدن الدبابة القاسي محاولاً الحصول على أية حركة، أو إشـــارة ربما تنهي مأزقه الذي ســـقط فيه حتى إنـــه لم يجد ما يتمنى أو شـــيئاً يوحي مجرد إيحاء بذلك.. ركّز على ســـلاح الجندي الذي يحمله فـــي يمينه، أي: من جهة ســـيارته لو حاول المرور قرب الدبابة، وعند ذاك تكفي إطلاقة واحدة لإنهاء حياته.

وانفجرت في داخله عبارة مشاكســـة: هل تخاف الموت إلى هذا الحد؟! تغلغلت في نفسه شظايا السؤال أكثر، وحلّق بذهنه إلى مقبرة شهداء الاحتلال في حديقة الإمام الأعظم، وتذكّر عمر وفارس وحيدر وصهيب المجاهد الســـوري الذي دُفن هناك، تخيَّل نفســـه يرقد معهم في قبر متواضع ربما يعلو تراب الأرض بشـــبر أو أصابـــع.. هل تخاف الموت إلى هذا الحد؟! شعر بالسؤال يمزّق ذاته وجسده فيسيل منه دم قانٍ يتسرب من نافذة سيارته إلى الشوارع حتى يملأ المكان كلـــه، مغرقاً الدبابة وجنديّهـــا الغامض والجدران الخرس. وتوقف بصره أكثر مما ينبغي على ظل بندقية الجندي وهو ينعكس على جدار بناية الســـوق العتيقة. وافتقد في موقف اســـتثنائي كهذا ضحكات وتعليقات وليد الأعظمي ورشيد العبيدي وهما يتصوران مجلسهما على شاطئ دجلة القريب في مقهى هناك، يقرآن الشعر أو يعلّقان على مـوقف ما.

وربما نســـي فـــي زحمة قلقـــه وارتباكـــه وجهته التي يريدهـــا أو جهتـــه التي أتى منها، يشـــعر - الآن - فقط أنـــه مقيَّد بحلقات عدة تضغط أكبرها على أصغرها فيكاد يختنـــق في مكانه ويكاد العرق المنبثق من مســـاماته يغرقه في مقعده تماماً، وشـــعر أن ســـيارته التـــي كانت دوماً في خدمته تخونه اليوم خيانـــة عظمى وتفرض عليه قيوداً من الهواجس والاحتمـــالات والمواقف المحرجة، فلو كان راجـلاً لهان الأمر، حينئذٍ يمكنه العودة أو الانعطاف إلى الجامع من جهة أخرى أو المرور قربهم مبدياً عدم المبالاة بوجودهم، أما كونه محتجزاً داخل السيارة ولا يمكن له أن يحرز ماذا يمكن أن يفعله جنود الاحتلال، وكيف يفسرون حركاته؛ فهذا مأزق لم يكن يحسب حسابه.

أعاد قراءة آية الكرسي مرة أخرى، ووجد أنه من المنطقي في مثل هذا الحدث أن يبحث في ذاكرته عن موقف مماثل مرَّ به عراقي أعـــزل أمام قـوة محتلة مدججة بالســـلاح، تختبئ خلف كواليس من الصمت والغموض، فيتصرف كما تصـــرف الآخر في ذلك الموقف المفتـــرض، وصُدم إذ وجد ذاكرته تعيد له صدى تســـاؤلاته وبحثه فارغة من أي جواب أو جدوى! واســـتغرب هدوء المـــكان إلى هذا الحد من حركة أي إنســـان؛ سواء كان مصلياً يتجه مثله إلى صلاة الفجر، أو ســـائراً في نومـــه، أو متسولاً أضاع توقيت عمله، أي بشر آخـــر في موقـــف أو حالة ما، بل خلا المكان تماماً من أية حركة لقطٍّ أو كلب أو... ربما حشرات الليل وحدها أصدرت بين حـــين وآخر ما يثبت وجودها في ثقـــوب جدران البيوت العتيقة الرطبة، إلا أنه لم ينتبه لذلك قطعاً.

فجأة أشـــعل أحدهم ضوء الدبابة الذي غمره وســـيارته والزقاق بأشـــعة صفراء فاضحة، ولم يعقبها هـــدير محـــرك بما يوحي أنهم سيتراجعون أو يقومون بأي حركة، وهذا يعني: أن الموقف المحرج لن يبقى على حاله، وربما تبددت مخاوفهم منه أخيراً ومن بقائه ســـاكناً في مواجهتهم على بُعْد لا يزيد على ثلاثين متراً، ثم ســـمع صوتاً منخفضاً من داخل الدبابة، وتبع ذلك حركة يد الجندي الخالية من الســـلاح وهو يرفعها إلى الأعلى مشـــيراً إليه بالبقاء في مكانه، رغم أنه فعل ذلك مرغماً منـــذ أن فوجئ بـــوجودهـــم، إلا أن تطورات الموقف الأخيرة زادت مخاوفه أضعافاً وتشتَّت بصره على بدن الدبابة كله تحسُّـــباً من أية حركة لسلاح يوجَّه إليه فيرديه قتيـلاً في هـــذا الوقت الذي يغطُّ فيه الكثيرون فـــي نوم عميق، ونطق بصوت اخترق قلبه وأذنيه: (أشـــهد أن لا إله إلّا الله وأشهد أن محمداً رسول الله) وانتبه لأول مرة ربما على أثر انعكاس ضوء الآلية إلى وجه الجندي الذي غطّى عينيه بنظارة سوداء سميكة، أخفت مخاوفه وانفعالاته تحتها، فكان آلة يعتلي آلة؛ بمـــا يوحي بانعدام لغة الحوار والتفاهم بينهما، إلا ما بدا من يده المرفوعة من علامة الوقوف الذي أحس به الآن، إنه طال أكثـــر مما ينبغي وإنه لم يعد يحتمل المزيد، وشـــعر أن الزمن الذي أمضاه في الانتظـــار كان زائداً وربما بالغ في الحـــذر أكثر مما ينبغي.

فـــي اللحظة التي تلت ذلك كان عليـــه التصرف والقيام بحركـــة مّا تبعده عن قلب المأزق الذي كاد أن ينتهـــي إلـــى ما لا يعرفه تمـــاماً، لكنه قطعاً لن يخرج عن قتل وحشـــي أو اعتقال أو نسف سيارته، ووضع عتلة السيارة إلى ما يؤهلها للمســـير إلى الأمام، لاعناً بصـــوت منخفض قوات الاحتلال وساعتهم السوداء التي دنسوا فيها ثرى هذا البلد، وحين كان يجتـــاز الدبابة الجاثمة على أرض تـــكاد تبتلعهم؛ كان صوت المنـــارة يطغى على الموقف كله، ويشـــده إليه بعمق: قد قامت الصلاة، قد قامت الصلاة.



تيارات فكرية

إسلامية لا إسلاموية!

محمد بوراس

في إطار الإرهاب الفكري الذي يمارســه أعداء المشروع الحضاري الإسلامي ضد الصحوة الإسلامية وتياراتها الفكرية والدعوية ضمن حملة شرســة متعــددة الجبهات؛ تأتي حرب المصطلحات التي تُعدُّ أحد المظاهر الكبرى لهذا الإرهاب. فلا عجب إذن أن نجد في الساحة كمّاً هائلاً من المصطلحات التي تنم عن رغبة متوحشــة في تشويه صورة الحركات الإسلامية المعاصرة ومشروعها الحضاري؛ فتُروِّج مصـطـلحات من قبيل: «الأصـولـية» و «الإســلام السياسي» و «الإرهاب الإسلامي» وغيرها. وكلها وإن اختلفت من حيث إطلاقاتها اللفظية، فإنها لا تختلــف من حيث الأهداف والمرامــي؛ فجميعها تصب في دائرة الكيد للصحوة وفكرها والمتغير فيها من دون وجه حق.

وهي تؤكد إصرار أعداء المشروع الإسلامي على محاصرته مــن جميع النواحي وبكل فصائلــه وتياراته، حتى دون تفريق بــين «متطرف» و «معتدل» لأن الذين أطلقوا هذه المصطلحات - وهـي فــي الغــالب صادرة عن دوائــر غربية - لا ينظرون إلى مثل هذه الفروق؛ فهم لا يصنِّفون أصلاً هذه الاتجاهات؛ لأنها في منظورهم إنما تنطلق من مصدر واحد ولها مرجعية موحدة، وحتى لو فرقوا بــين خطاب وآخر؛ فإن الفارق يكون في الدرجة لا في النوع؛ لأنهــم لا يجدون «تغايراً أو اختلافاً من حيث المنطلقات الفكرية أو الآليات بينهما» كما يؤكد (نصر حامد أبو زيد) حيث يقول بكل صفاقة: «الخلاف بين الاعتدال والتطرف خلاف هامشــي وليس خلافاً أساســياً، إنه خلاف حــول مجال تطبيق المبدأ لا حول المبدأ ذاته»، وغاية الأمر أن كل مــا هو «واضح معلَنٌ في خطاب المتطرفين، كامِنٌ خفيٌّ في خطاب المعتدلين»[1]. ومن ثم فإن الهدف الأساســي هو ضرب «الأصل» من خلال «الفرع»؛ إذا اعتبرنا المرجعية الإســلامية هي الأصل، والفكر الذي تنتجه الحركة الإسلامية هو الفرع.

أما التصنيــف الوحيد الذي يعتمده هــؤلاء، فهو بين ما يعتبرونه بزعمهم «الفكر الإسلامي المستنير» ويمثِّله في الغالب دعاة العلمانية اللادينية ومَنْ حالَفهم، وبين حاملي لواء الدعوة إلى الإســلام على اختلاف تياراتهم ممّــن يصنِّفون في إطار ما تعبِّر عنه هذه المصطلحات التي أشــرنا إليها آنفاً. والدافع الطبيعــي لذلك هو الرغبة في إبعاد صفة «الإســلامية» عن هؤلاء وقصْرِها علــى أولئك العلمانيين دون غيرهم؛ ومن هنا يأتــي مصطلح «الإســلاموية» معبِّراً بشــكل واضح عن هذه النزعة الاحتكارية، إضافة إلى أنه يختزل غيره من المصطلحات ويحتويها، ليكون التقسيم الطبيعي لشرائح المجتمع الإسلامي على الشكل التالي:

(١) د. نصر حامد أبو زيد: «الخطاب الديني المعاصر:آلياته ومنطلقاته النظرية»، سلسلة كتاب (قضايا فكرية)، أكتوبر ١٩٨٩م، ص ٤٥ - ٤٧.



المسلمون: وهم عامة معتنقي دين الإسلام.

والإسلاميون: وهـم مفكرو الإسـلام أصحاب الطرح «التنويري».

ثم الإسلامويون: وهم ممثّلو الحركات العاملة في مجال الدعوة إلى الإسلام.

وهو تقسـيم يمكن استنتاجه من الطريقة التي يوظَّف بها المصطلح والإطار الذي يُرَوَّج فيه. أما المراد بالإسـلاموية في نظر مطلقيه، فهو التوظيف الأيديولوجي للإسـلام في مجال العمل السياسي. يقول محمد أركون: «إن الحركية الإسلاموية تشـكّل كمّاً هائلاً مـن الاحتجاجات والمطالـب والتركيبات الأيديولوجية وأحلام اليقظة الجماعية والهلوسـات الفردية، التي لا تحيلنا إلى الإسـلام كدين وكتـراث فكري، وإنما إلى مقدرة كل أيديولوجيا على تحريك المتخيَّل الاجتماعي وتغذيته وإشـعال لهيبه»(1)، فإما أن يبقى الإسـلام - في نظر أعداء المشروع الإسلامي - ديناً بالمعنى التقليدي الموروث عن عصور الانحطاط في حالة سـكونية، غائباً عـن التأثير في الحياة والمجتمـع؛ وإلا فإنه يتحول إلـى مادة تُسـتَثمر أيديولوجياً وسياسـياً من قِبَل مجموعة من المهووسين ممن تركبت فيهم كل العقد المَرَضية! ويبدو واضحاً أن تكريس مثل هذه الصورة السيئة ليس للحركة الإسلامية وحسب، وإنما للإسلام بوصفه رائداً وقاعدة لانطلاق كل توجه فكري وسياسـي واجتماعي داخل هذه الحركة، من خلال إطلاق مصطلح «الإسلاموية» من طرف دعـاة العلمانية اللادينية وتعميمه على جميع التيارات، دون مراعاة أي مقيـاس للفصل بين ما يمكن أن يدخل تحت هذه التسـمية - لو قبلناها منهجيـاً ومن باب الجدل - مما نصنفه في خانـة تيار الغلو، وبين باقـي التوجهات. وهي - بالمناسبة - الغالبةُ فكراً وممارسة في ساحة العمل الإسلامي، التي تتبنى صيغة «المشروع الحضاري الإسلامي» بكل معانيه، انطلاقاً من رؤية واضحة المعالم لا تعمِّيها المصالح السياسـية أو الأهداف التي قد لا يمنع أن يكون السبيل إليها دموياً.

إن قبـول أي مصطلـح، مهما كـان وأيـاً كـان مطلقه أو مجال إطلاقه، يخضع لشروط، في مقدمتها توخّي الطرح الموضوعي والبعد عن التعميم. ولو أخذنا جُلَّ المصطلحات التي تروِّجها دوائر الكيد للإسلام ودعاته، وقسنا نسبة موضوعيتها ووضوحها، لوجدناها في الغالب عارية منها؛ لأنها مُغرِقة في الضبابية والتعميم، فهي تُطلَق دون تحديد مسبق لما يراد منها أو مَنْ يراد بها، وفي أي إطار يمكن تطبيقها.

إن أي حركة إسـلامية، مهما بالغـت في البعد عن الغلو والتشـدد، أو «التطرف» بالمفهوم السائد؛ لن تعدَم مَنْ يلصق بهـا أحد هذه الأوصـاف، لتصبح في عُـرْف الجميع حركة «إسلاموية» ما دام أن هذه المصطلحات غير واضحة إلى الحد الذي تكون فيه معبرة عن أشـياء محددة، ولا سيما إذا نظرنا إليها من زاوية الطرح العلماني. وهكذا؛ فما يعتبره اللاديني - مثلاً - تطرُّفاً وأصولية وربما إرهاباً، لا يعدو أن يكون في حكم الدين من أوجب الواجبات التي يسقط بها معنى التدين.

لـذا، أولاً يجب تحديد معيار الحكـم وتوحيده. وبما أن الأمور التي تتصـل بالدين لا يمكن أن تخرج عن إطار الحكم الدينـي، فإن معيار الحكـم في قضايا التطـرف والإرهاب والأصولية تعود إلى الدين نفسه؛ فما اعتُبِر في ميزان الشرع من هذا القبيل توجَّب وصفه كذلك، وصار من دعا إليه منسوباً إليه، وما لم يعتبره كذلـك فليس لأحد أن يفرض على الدين شيئاً لم يقضِ به. ومتى أصبح معيار الحكم موكولاً إلى النظر العقلي المجرد أو الهـوى، كان الحكم غير صائب في الغالب، ومؤدياً إلى الإسقاط.

قد نكون رافضين لوصف الحركات الإسـلامية المعاصرة بـ (الإسـلاموية) بمثل هذه الطريقة غير الموضوعية، بيد أننا نرفض كذلك كل سلوك داخل هذه الحركات قد يعبر عن هذا الوصف؛ فانتقادنـا للمنهج العلماني في توظيف المصطلحات بشـكل يعكس أسلوباً حربياً هدفه الإقصاء والإلغاء، لا يمنعنا من نقـد كل أطروحة أو توجُّه يعبِّـر صراحةً عن موقف فيه اسـتخدامٍ متطرف للدين أو توظيفٍ مغلوطٍ لخطابه من أجل تحقيق أهداف بعيدة عن مصالح الإسـلام والمسلمين؛ فنحن نريدها حركةً إسـلامية قائمة على منهج النبوة، سـائرةً في ظلاله، مستمَدَّةً من فيضه وهديه، حركةً حضارية إصلاحية؛ قوامُهـا الدعوة إلى الحق بالحكمة والموعظة الحسـنة بعيداً عن أي ممارسـة فيها عنف أو إرهاب. ونريدها كذلك حركة فاعلة واعية بمشـروعها القائم على منهج التغيير الحضاري وممارسـة النقد الذاتي، بهدف تصحيح مسارها كلما وجدت انحرافاً وخروجاً على المنهج.

(1) د. محمد أركـون: «الحـركات الإسلاموية: قـراءة أولية»، مجلة (الوحدة)، ع ٩٦ (شتنبر ١٩٩٥)، ص٧.



تأملات لغوية في سورة يوسف عليه السلام ودلالاتها



القرآن الكريم؛ كلام الله المعجز، كامل في كل نواحيه وجوانبه، مستقيم في اتجاهه، باهر في نسقه، دقيق في تعابيره ووصفه، مجيد في مقاصده، تلك مسلّمة يدركها العالم ويؤمن بها الجاهل.

وهذا ما يدعونا إلى معاودة النظر فيه بل وطول مصاحبته؛ تأثُّماً من هجرانه، وطمعاً في تذوق لذة بيانه، ورجاء نيل بركاته وفتوحات إحسانه، ونسأل الله أن يكون هذا النظر صحيحاً وفق القواعد والأطر السليمة.

محمد عباس الأهدل

وهذه سورة يوسف، إحدى سور نظامه البديع، سأحاول أن أقدم تأملاً لي فيها من خلال صفحات مجلة البيان، وأسأل الله القبول وأن أكون موفقاً.

في هذه السورة نجد احترازاً تعبيرياً واضحاً عن ذكر يوسف - عليه الصلاة والسلام - بلفظ كلمة العبودية! أي أن القرآن الكريم تجنّب ولم يذكر ولم يطلق هذا الوصف على نبيه يوسف حينما قام به هذا الوصف؛ فقيمة نبي الله يوسف عند الله رفيعة؛ ولكونه مخلصاً لله فقد ظل كذلك حتى من ناحية التعبير اللفظي.

وإذا أردت أن تتضح لك هذه المقدمة وتتبين المراد منها فتعال معي لأقف بك على بعض من أسرارها ولطائفها ودقة تعابيرها:

كلنا يعلم أن نبي الله - يوسف عليه السلام - بِيع رقيقاً، أي أنه صار عبداً مملوكاً لمن اشتراه، وإن كان

قد أراد منه النفع أو التبني.

وقد صار الذين اشـتروه أسياداً له بطبيعة الحال في المعنى العرفي والاصطلاحي واللغوي؛ فهل يا ترى سنجد التعبير القرآني قد تعامل معه على هذا الأساس المقرر الطبيعي لا الديني؟!

هنا يتجلى لنا الاحتراز التعبيري في القرآن بوضوح؛ الاحتراز عن ذكر نبي الله يوسف - عليه السلام - بأي وصف من صفات العبودية لهؤلاء القوم الذين اشتروه وصاروا مالكين له عُرفاً، كما يتجلى لنا من سياق القصة العام. لم يخضع هذا التعبير القرآني الإلهي لهذا العُرف الباطل، بل حتى لم يُورِد ذكر سيادتهم عليه!

وهذا أمر دقيق ورد وتجلى في هذه السورة!

• • •

فانظر الآن معي - أرشدني الله وإياك - كيف أن التعبير القرآني يتجنب وصف نبيه يوسف بما قد يوحي بعبوديته للبشر! وكيف يفعل ذلك وهو قد قضى بأن يوسف من عباده المخلَصين! وفي هذه الصفة زيادة توكيد وتقرير ذلك، ونفي عبوديته لغير الله ولو كانت عرفاً!

وأول آية يمكن أن نلحظها جاءت في سياق بداية وقوع يوسف تحت طائلة التملك والبيع والشراء - أو نقول: جاءت في سياق ما بعد استعباده عندهم - هي الآية التاسعة عشرة من سورة يوسف. قال - تعالى -: ﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً﴾ [يوسف: ١٩].

انظر: لم يقل: وأسروه عبداً، أو رقيقاً أو مملوكاً أو نحو ذلك..!

بل إننا لنلمح ما يشير لنا به السياق من أنه أغلى وأثمن وأعز من أن يباع بثمن بخس، والبضاعة بحد ذاتها توحي بالقيمة؛ ولا تقتصر على معنى ذي طرف واحد؛ فهي مبهمة متروكة للحقيقة!

هذه واحدة فقط من كثير في هذا المعنى بالذات!

• • •

وإذا انتقلت معي إلى الآية الثالثة والعشرين: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ..﴾ [يوسف: ٢٣]؛ فتأمل كيف لم يقل: وراودته سيدته.. ومع هذا لم يفوِّت علينا فَهْم أنها كانت متحكمة فيه، وصاحبة الأمر ومالكته لكونه في بيتها؛ إذ إن لها الحكم الواسع هناك، فأعطانا المعنى المراد المقصود وأوصله إلينا، وتجنب استخدام اللفظ الآخر من دون مسه بلفظ العبودية؛ فإن السيادة فهمت، لكن ليس بالإقرار اللفظي المباشر المؤكد الذي قد يفهم منه إقرارهم على ذلك.

ثم يأتي قوله - تعالى -: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ..﴾ [يوسف: ٢٣]، لم يقل: (سيدي)، وهذا طبعاً على أحد التفسيرين؛ ونعني به هنا الملك.

وتأمل معي في قوله - تعالى -: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ..﴾ [يوسف: ٢٥]، قال بعض الشارحين: إن زوج المرأة يعد سيداً لها، ويذكر بعضهم قضايا استعبادهم لنسائهم ونحو ذلك.

وبغض النظر عن ذلك: ألم يكن بمقدور القرآن أن يعبر عن زوجها بلفظ زوجها؟!.. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى: لماذا عبَّر بلفظ سيدها وجعل الضمير خاصاً بالغائبة المفردة فقط؟ لماذا لم يجعل الضمير يتناول الاثنين فيأتي بألف التثنية؛ وهذا هو الطبيعي؛ ففي أول الآية تناولهما بالتثنية حيث كانا واقفين معاً.

لكأن القرآن يريد أن يفهمنا معنى مراداً باختياره لهذه اللفظة ثم لإفرادها! لكأنه يريد أن يقول لنا: إنه سيدها وحدها.. إنه ليس بسيد يوسف! ومن ثم جرى تجاوزه إليها وحدها! ثم تابع معي: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ﴾ [يوسف: ٣٠]: لم يقلن: تراود عبدها أو مملوكها أو غلامها، هذا كله يتماشى مع هذا المبحث ولا ينقضه، واختيار اللفظ هنا لا أتكلف البحث عما سواه! وهذه اللفظة هي التي اختارها القرآن الكريم.

وحيث تبين لنا هذا من أن النص القرآني تجنب وصف يوسف بلفظ العبودية أو إطلاق كلمة السيادة عليه، حيث رأينا ذلك؛ لاحظ معي كيف أنه لما أصبح يوسف في مكان العزيز سرعان ما أطلق القرآن عليه هذا اللفظ بكل إقرار وانبساط، حيث أورد قول إخوته له: ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ﴾ [يوسف: ٧٨] مرتين!!

بل إن النسوة لما رأينه لم يعد عندهن ذلك العبد: ﴿تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ﴾ [يوسف: ٣٠]، بل تجاوز نطاق البشر: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١]، ولم يجعلنه في

مصاف الملك فحسب، بل سلكنه في نطاق الملك الكريم.

• • •

وفي ختام السورة نجده أشار في خطابه لأبيه إلى إحسان الله إليه، ذاكراً بعض الأمور دون بعض: فمما ذكره:

١ ـ إحسان الله به إذ أخرجه من السجن.

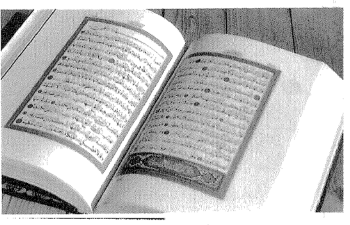
٢ ـ إتيان الله له بإخوته من البدو.

ومما لم يذكره:

١ ـ إخراجه من الجب: حفاظاً على خاطر إخوته، كما ذكر ذلك المفسرون.

٢ ـ تحرره من حياة العبودية والاسترقاق؛ حيث إنه لم يكن إلا عبداً مخلصاً لله ـ تعالى ـ في حقيقة الأمر.

ثم إنه جعل الخطأ الذي جرى مشتركاً بينه وبين إخوته؛ تواضعاً منه، بل عزاه إلى نزغ الشيطان.



ومن المباحث المتعلقة بموضوع اختيار اللفظ: قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾ [يوسف: ٣١]، فكلمة «وأعتدت» مختارة بعناية؛ حيث إن فيها معنى الكيد المبرم والمكر المحكم والتدبير المكين؛ فهو ليس لسواد عيونهن هذه المرة؛ وإلا فإن لها مرادفات: وهيأت وأعدت وجهزت، ولكن هذه الكلمة زائدة المبنى والمعنى.

وكذلك تضعيف كلمة (وقطّعن) بالتشديد للدلالة على المبالغة في ذلك، وقد أشار إليها المفسرون.

• • •

ومن المباحث المتعلقة بالوقف والابتداء؛ مما يعطي الألفاظ معنى دلالياً متنوعاً: قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف: ١٥]؛ فالمقصود بإنبائهم بأمرهم قوله لهم: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ﴾ [يوسف: ٨٩]، وقوله لهم أيضاً: ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ [يوسف: ٧٧].. فإذا وقفنا على كلمة (هذا) من قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا﴾ يكون المراد والمقصود بقوله: ﴿وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾: أي لا يشعرون في المستقبل يوم تنبئهم بأمرهم هذا، ويكون ذلك المراد قوله لهم: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ﴾ وكانوا لا يشعرون ساعة إنبائهم أنه يوسف... وإذا وقفنا على كلمة «بأمرهم» من هذه الآية، ثم استأنفنا من قوله ـ تعالى ـ: ﴿هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ أقول: إذا بدأنا بقية الآية من عند كلمة «هذا».. فيكون المراد بأمرهم: حقيقتهم وحالهم في المستقبل أيضاً، بينما في الأول يكون المراد فعلتهم.. وأما هنا فيكون المراد قوله لهم: ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ ويكون المعنى المراد الآخر المستفاد من استئناف الآية ابتداء من عند قوله: ﴿هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ ليس في المستقبل وإنما في الحال، أي: وهم لا يشعرون بما كنا نوحيه إليه في ذلك الوقت، وقت إلقائه في الجب، وذلك بوقوفنا على كلمة: «بأمرهم» كما ذكرت. فتكون قراءة الآية هكذا: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ﴾ ثم ﴿هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾. فعندما نبأهم بأمرهم هذا، وهو فعلتهم، قال: ﴿... هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ﴾، وهنا كانوا لا يشعرون! وعندما نبأهم بأمرهم، وهو حالهم وحقيقتهم، قال: ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾، وهناك كانوا لا يشعرون ـ وهنا أيضاً ـ حيث كانوا ساعة الإيحاء عندما قال: ﴿هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾، أي هذا كله جرى وهم لا يشعرون، وكلاهما وردا في السورة من كلامه. فكونه في كلتا الحالتين منبئاً لهم يجعل الدلالة المشار إليها آكد، والمعنى متنوعاً والدليل متناولاً، ولا تترتب هذه المعاني إلا على الوقف والابتداء ولا تتولد إلا منه، مما يشعرنا بأهمية الوقف والابتداء في علم التجويد.

وهكذا يظل القرآن الكريم معجزاً بخفايا أسراره التي لا تنفد.. والله أعلم.

• • •

وأخيراً أستسمح من القارئ وأرجو أن يعذرني لما عرضته عليه بطريقتي التي جعلت المعاني متداخلة والموضوع متشابكاً، ولكنني أدعوه ليتناول المعنيين كلاً على حدة. هذا وأسأل الله القبول. آمين.

د. عادل السليم

فارسٌ إلى مضمار آخر

أحمد بن عبد الرحمن الصويان

في نهاية هذا العام تكمل مجلة البيان عامها الثالث والعشـــرين.. سنوات حافلة بالعطاء الفكري والجهاد بالكلمة، رعاها ثلَّة من الرجال الأفاضل على رأســـهم الدكتور عادل بن محمد الســـليم، لقد تعاون مع إخوانه في زرع البذرة الأولى لهذه المجلة، حتى اســـتوت وأينعت وأشرق نورها، واستمر في إدارة مسيرتها ورعاية إنجازاتها بعد وفاة الدكتور عبد الله الخاطر - رحمه الله - عقدَيْن من الزمن.

مرَّت المجلة بفترات من الضعف والتعثُّر، وعرضت لها مشكلات فـــي مجالات متعددة، وفي كل مرحلة من هذه المســـيرة المباركة كان للدكتور عادل قصبُ السبق والريادة في تجاوز تلك العقبات، والنهوض بالمجلة، ودفع مسيرتها، وتجديد عطائها.

لقد آمن برســـالة المجلة وبرؤيتها الدعوية والمنهجية، ولهذا كان يرعاها، ويسهر من أجلها، ويجعلها في رأس الأولويات التي يحرص عليها.

عرفتُـــه عن قـــرب، وزاملته في كثير من مراحل هذه المســـيرة؛ حلوها ومرِّها، وعاشـــرته في مواقف متعددة. كنا نتوافق كثيراً، وقد تعـــرض لنا بعض الاختلافات الطبيعية في الاجتهادات، ومع ذلك لم



أرَ منه إلا خيراً.

كانت دماثة خُلقه، وطيب معشره، وسلامة صدره، وحرصه على هذا المنبر؛ سبباً من أسباب الاستقرار والثبات، وكانت له اليد الطولى في نموه واطِّراد مسيرته.

عرفتُه صاحب رأي، بعيد النظر، عميق التفكير، مطواعاً لإخوانه، حريصاً على تحقيق الشورى وبناء الإدارة المؤسسية التي تستثمر كل الطاقات في العطاء والعمل، وتوظف كل الإمكانات لتحقيق أكبر قدر ممكن من الإيجابيات، وتحرص على ترسيخ الأخوة والمحبة والبُعْد عن الأثرة وحب الذات.

عرفتُه سمحاً، طاهرَ السريرة لإخوانه، يكره التعصب وينفر من الحزبية، ويحتفي بكل بادرة جادة للعمل وخدمة الدين.

عرفتُه رائداً من روَّاد العمل الخيري، مقداماً في بذل المعروف، سَبَّاقاً في نصرة قضايا الأمة، حريصاً على نشر الدعوة.

هكذا أحسبه والله حسيبه، وأعلم أنه لا يحب مثل هذا الثناء، لكن هذا بعض الوفاء الواجب بين الإخوة، والله - عز وجل - يقول: ﴿وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، ورسول الله ﷺ يقول: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس».

من بعض حقه علينا أن نقول ذلك؛ فها نحن نرى الفارس يترجَّل ويسلِّم الراية، ويمتطي صهوة جواد آخر، ثم يغادرنا إلى ميدان آخر من ميادين العطاء، وأهلُ العطاء لا يعرفون التوقف، بل لهم في كل سبيل أسهم وافرة من الخير.

كان يطالب بذلك منذ فترة طويلة ليس تهرباً من المسؤولية، لكن رغبة في تجديد الدماء، وحرصاً على تحقيق الفاعلية في المؤسسة، ولم يجد مجلس الإدارة بداً من قبول استقالته؛ فالتفريط بالرواد من أقسى الأمور وأصعبها على النفس. ولكنَّ عزاءنا أن أخانا الكريم انتقل إلى باب آخر من أبواب الخير، وثغر من ثغور المعروف والعطاء.

شكر الله لك يا أبا محمد! وجزاك عنا خير الجزاء.

رفع الله قدرك، وجعل ما بنيته من السنَّة الحسنة التي يبقى لك أجرها وأجر من عمل بها لا ينقص من أجورهم شيئاً، وجعلك الله مباركاً أينما كنت؛ مفتاحاً للخير، مغلاقاً للشر.

كن شريكنا في الدعوة



أهداف المكتب ..

- دعوة غير المسلمين إلى الإسلام .
- طباعة الكتب والمطويات والصحائف الدعوية .
- كفالة الدعاة .
- إقامة الدروس والمحاضرات .
- نسخ الأشرطة وتوزيعها .
- إقامة المسابقات بجميع اللغات .

ساهم معنا تكن شريكنا في الدعوة ..

34060801011127

من مشاريعنا ..

مشروع طباعة الكتب والمطويات

34060801000312

مشروع المسلم الجديد ..

34060801011135

المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالفايزية ببريدة

كن شريكنا في الدعوة

هاتف: ٣٨٣٨٨١١
فاكس: ٣٨٥٨٨١١
ص.ب: ١٠٤٦٦
بريدة: ٥١٤٣٣
القسم النسائي





في الأسواق

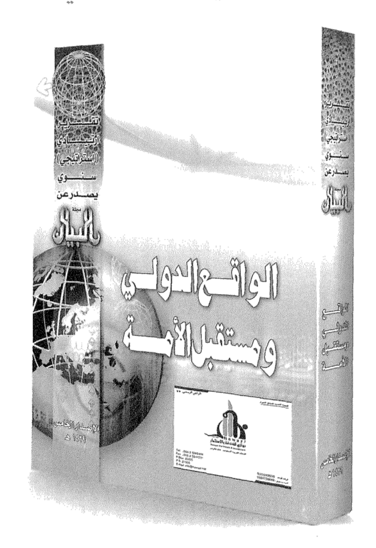
التقرير الاستراتيجي الخامس ١٤٢٩هـ

الراعي الرسمي..



نوازي للفندقة والاستثمار
Nawazi For Hotels & Investment
المملكة العربية السعودية - مكة المكرمة

Tel: +966 2 5660494
Fax: +966 2 5541031
P.Box: 20000
P.S: 21955
E.mail: info@nawazi.net

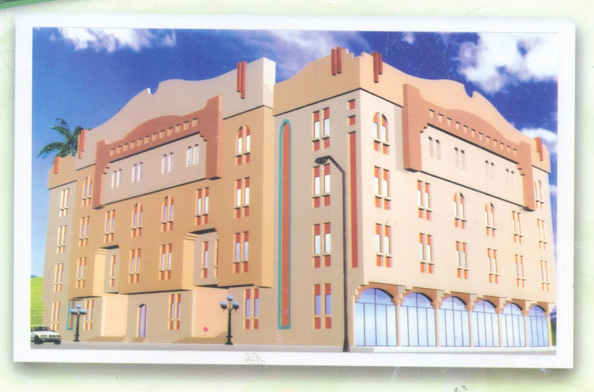


الرياض - هاتف ٤٥٤٦٨٦٨ تحويلة ٥٠٠ و ٥٠٢ فاكس ٤٥٣٢١٢١
المشاريع ٠٥٠٤٤٧٨٩٣٢-٠٥٠٢٢١٠٩٢٠- ٠٥٠٣٤٠٩٨١٦- ٠٥٠٣٨٩٦٣٦٥-٠٥٠٦٤٦١٠٦٥
جدة ٠٥٠٦٤٦١٠٥٧ مكة والمدينة ٠٥٠٧٢٦٦١٢٠ الجنوبية ٠٥٠٦٤٦١٠٥٨
الشرقية ٠٥٠٦٢٩٢٦٨٩ القصيم ٠٥٠٢٢٢٠٦١٦





تحت إشراف وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإشراف



قال رسول الله ﷺ : (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له)

وقف الدعوة

مبنى تجاري وسكني

صدقة جارية في الحياة وبعد الممات لأنفسكم ولأمهاتكم وآبائكم

- **قيمة السهم بالوقف ١٠٠ ريال .**
- **عدد الأسهم بالوقف ٥٥٠٠٠ سهم .**
- **التكلفة الإجمالية للوقف ٥٥٠٠٠٠٠ ريال .**

يمكنم المساهمة بأي عدد من الأسهم أو الاستقطاع لصالح الوقف على حسابه بمصرف الراجحي

٢٢١٦٠٨٠١٠٠٠٣٣٤٤

فاستبقوا الخيرات

هاتف وفاكس: ٠٧٣٢٨٠٩٥٨ جوال : ٠٥٥٧٧٦٤٥١٥/٠٥٠٦٤٤٧٢٢٣

حساب المكتب في مصرف الراجحي:

الدعوة (٢٢١٦٠٨٠١٠١٣٦٧٣٠) الزكاة (٢٢١٦٠٨٠١٠١٣٦٧٢٢)

m-alhusayni@hotmail.com